



كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الطفل في الإسلام

تأليف :

محمود الشرقاوي

السنة الثانية عشرة

شعبان ١٤١٤ هـ - العدد ١٤٠

مقدمة

الطفولة هي المستقبل ، فأطفال اليوم هم رجال الغد ونساؤه . وقد اتفقت جميع الشرائع السماوية على ضرورة رعاية الاطفال والاهتمام بهم لانهم نواة المجتمع الفاضل .

والمجتمع البشرى يتحدد ويمتد بقاؤه من خلال ذريته من الاطفال فهذه الذرية هي ماضيه وحاضره وتطلعاته نحو المستقبل . ولما كانت الطفولة تنبىء بما سيكون عليه الحال فى مرحلة الكبر فدائما ما تكون مؤشرا دقيقا لنوعية الحياة وتعبيرا عن القيم والآمال والامانى الفردية والجماعية وتشكل صورة مباشرة لعالم الغد .

وقد أوجب الاسلام العناية بالطفل وهو جنين فى بطن أمه وحرم إيذائه أو إلحاق الضرر به بأى شكل من الاشكال بما فى ذلك الاجهاض .

وعند مولده يحتفى به ويكرم ومن مظاهر هذا التكريم ما يعرف «بالعقيقة» وهى شاة تذبح له فى اليوم السابع احتفاء بمولده .

واعترف الاسلام بحقوق الطفل منذ لحظة خروجه حيا الى الدنيا ، فأوجب له حق الميراث كالكبير ، كما أوجب اختيار أحسن الاسماء له .

وإذا كان الاسلام قد حرم قتله قبل خروجه الى الدنيا فمن الطبيعى أن يمتد هذا التحريم الى ما بعد خروجه اليها . قال تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطئنا كبيرا﴾ (الاسراء : ٣١) .

ومن أهم الأشياء التي أوجبها الاسلام للطفل حق الرعاية والتربية حتى ولو كان الطفل لقيطاً أو منبوذاً . فقد أوجب الاسلام تربية اللقيط أو المنبوذ ورعايته والاحسان إليه حتى يكبر .

وقد أجمع الباحثون في سنن العمران ورقى الانسان على ان التربية القويمة والتعليم الصحيح هما الوسيلة العظمى لارتقاء الامة في معارج الحضارة وبلوغها ما تطمح إليه في الآمال الكبار ، لذلك كان من أهم واجبات الامة التي تجعل هذا الهدف الاسمى ، والسعادة العظمى نصب عينها أن تكل أمر أبنائها وتعليمهم الى من يطبعون في فطرة النشء أصول الفضائل وآداب الشريعة ، ويهذبون عواطفه ويرقون شعوره ، أما إذا وسد أمر التعليم الى غير ناصح ولا أمين ألم بمزاج الامة ما يضعفه ، وينمى جرائم الداء فيه فتزداد الامة مرضاً ، حتى تكون حرضاً ، أو تكون من الهالكين .

التربية الدينية عماد الفضائل ، والمعلمون خلفاء الرسل في تعليمهم وأخلاقهم ، فمن شأنهم أن يكونوا من أكمل البشر وأفضلهم ، اذ هم القدوة الصالحة التي ينشدها الطلاب ، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمالهم ، لا من الكتب التي يدرسونها فحسب ، ويجب ألا يرى الطلاب عليهم مأخذ يتمسكون بها ، اذ بهم يقتدى ، وبهديهم يهتدى ، وليذكروا قول المعلم الاعظم ﷺ (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) .

وقد جمعت التربية الاسلامية منذ ظهور الاسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح ، وتثقيف العقل ، وتقوية الجسم ، فهى تعنى

بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية ، دون توضيح بأى نوع منها على حساب الآخر، فمن المعروف أن النبي الكريم ﷺ افتدى أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة . ومن وصايا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يعلم المسلمون أبناءهم السباحة والرماية .

ومن حق الطفل فى الاسلام أن ينشأ فى بيت يعمره الايمان ويسود فيه التفاهم العقائدى بين الابوين ا .

ويجب أن يحاط الطفل فى البيت بمن يكونون خير قدوة له فى القول والعمل .

ودعا الاسلام الى تدريب الاطفال على القيادة والتدريب والى معرفة الحلال والحرام . قال تعالى ﴿ يَا بَنِيَّ إِنِّي كُنْتُ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان : ١٦ — ١٧) .

كذلك دعا الاسلام الى أن يتعد الاطفال وهم صغار عن مظاهر الترف والتخنث وحياة الميوعة ليشبوا رجالا يمكن الاعتماد عليهم فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا عند عبد الله بن مسعود فجاء ابنه عليه قميص من حرير فقال : : من كساك؟ قال : أمى . فشقه . وقال له : قل لأمك تكسك غير هذا) .

وللطفولة فى الاسلام عالمها الجميل الملىء بالبهجة والجمال والاحلام والسعادة والحب . وحديث القرآن الكريم عن الطفولة يغض

بالمودة والنبيل . فالله يقسم بالطفولة ﴿ لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل
بهذا البلد . ووالد وما ولد ﴾ (البلد : ١ — ٣) .

والاطفال بشرى :

﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل
سميا ﴾ (مريم : ٧) .

وهم قرّة عين :

﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ﴾ (الفرقان : ٧٤) .

وهم زينة الحياة الدنيا :

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ (الكهف : ٤٦) .

ورعاية الاطفال واجبة فى الاسلام ، وبذل الجهود فى هذا
المجال من الاعمال التى يثاب عليها الانسان من عند الله ويجزى عنها
خير الجزاء .

وهذا الكتاب الذى أقدمه للقارىء العزيز — يتحدث عن الطفل
فى الاسلام : مولده ونشأته وتربيته ، وحقوقه التى كفلها له الدين
الحنيف ، حتى يخرجون من بيوتهم على المجتمع وهم على خلق
ودين يعملون باخلاص لهم ولغيرهم ، ولا يصدر منهم الا الخير ، ولا
يعرفون رقبيا على أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم إلا الله لان رضاه والفوز
بالسعادة الدائمة فى الحياة الآخرة هو مجمع همهم فى هذه الحياة
الدنيا .

وأرجو أن أكون قد وفقت الى ما قصدت إليه ، والله تعالى ولى
التوفيق !

محمود الشرقاوى

بناء الأسرة

حث الاسلام على تكوين الاسرة ودعا الى أن يعيش الناس فى ظلالها، فهى الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التى تلبى رغائب الانسان وتقى بحاجاته .

وهى الوضع الفطرى الذى ارتضاه الله لحياة الناس منذ فجر الخليقة .

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ .
(الرعد : ٣٨) .

فحياة الانسان فردا فذا، يهجر فى صحراء الحياة، ويواجه مفردا أجواءها الغائمة، أمرا لا يراه الاسلام ولا يرضاه .

لان فى فطرة الانسان الحاجة الى الاسرة وجوها الظليل ، وفى طبيعة الحياة أنها لا تواجه بالجهد المفرد بل تحتاج الى تناصر القوى وتبادل المشاعر، والتعاون على حمل الاعباء ومواجهة المصاعب، مما لا يفى به إلا الاسرة .

وفى دعوة الاسلام الى الاسرة وترغيبه فيها تبرز لها وظائف، وتظهر ثمرات ذات أثر فعال فى حياة الفرد والمجتمع ، اذ هى نعمة من نعم الله وآية من آياته هياها للعباد واختارها لهم لتستقر بهم الحياة وتصفو أكارها .

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم : ٢١) .

ان المشاعر والعواطف التى تنمو فى جو الاسرة غذاء لا تستغنى عنه النفس مما يجعل الاسرة نعمة ورحمة تقى التعاسة والشقاء ، ويجعلها فضلا من الله كالطيبات من الرزق .

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات﴾ (النحل : ٧٢) .

والانسان مفتقر الى تلك النعمة فى مراحل عمره جميعا .

فالطفل لابد له من النشأة فى أسرة والانما ينبوذ العواطف ، شاذ السلوك وحاجته الى أمه وأبيه حاجة أصيلة ، لا يغني عنها رعاية أخرى — كذلك يحتاج الانسان الى الاسرة شابا ورجلا وكهلا ، لا يجد رعاية فى غيرها ، ولا ترضى فطرته بديلا عنها ، فيظل مفتقرا أبدا الى حماها ، متعطشا الى عواطفها ومشاعرها .

وللاسرة كذلك وظائفها الخاصة فى ميدان التربية لا يغنى عنها عامل آخر ^(١) فهى العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة فى المراحل الاولى للطفولة . وليست دور الحضانة بقادرة على أن تعوض للطفل ما يحرمه اذا حرم من حياة المنزل بما فيها من جو وروحى تنمو فيه البذرة الأولى للشخصية الانسانية وتزدهر حتى تبلغ النضج وتشع بروح مقدسة تكمن فى أعماقها .

ان دور الحضانة التى يشرف عليها موظفون تعينهم الدولة تعنى

(١) مصطفى عبد الواحد: الاسر فى الاسلام — دار العروبة . القاهرة ١٩٦١ ص ١١ — ١٢ .

بنمو العظم واللحم ولكنها تهمل نمو الروح . ويصف الدكتور «هـ» أولدهام «الحياة المنزلية بقوله «فى جو الحياة المنزلية يقدر كل فرد كما هو فى حقيقته لاعلى أساس من مقدرته . والعمل لا يشغل فى الفرد سوى زاوية واحدة فى شخصيته ولكن الحب العائلى يرضى فى كل شخص جميع جوانبه النفسية . العائلة مدرسة تترى فيها الشخصية فى جو من التقدير والفهم وتتعود على ضبط النفس والتعاون . وهى كذلك ميدان يتدرب فيه الفرد على تحمل المسؤولية وعلى التضامن مع سواه فى قبول الالتزامات المشتركة ، ومن ثم فإنها وسيلة لتكليف أفرادها بحيث يكونون صالحين للمساهمة فى الحياة الواسعة التى تحياها الجماعة^(١) .

الأسرة أصل :

والأسرة أصل راسخ من أصول الحياة البشرية .

ومن هنا يعد الهجوم على الأسرة فى هذا العصر نزعة طائشة تحاول مسخ الفطرة واخفاء الحقيقة . وذلك لان الحياة العائلية المنظمة رمز ناطق للمجتمع السليم ولن يتم القضاء على الأسرة دون أن يكون لذلك أسوأ الاثر، فكم من الحضارات قد اندثرت حين تحلل فيها نظام الأسرة .

ولقد اعتبرت الحياة الزوجية عند الاغريق القدماء أمرا تافها فكان اللقاء بين الرجل والمرأة لاشباع غريزة الجنس أمرا عابرا وكانت النتيجة

(١) ميرزا محمد حسين : الاسلام والاشتراكية ترجمة د . عبد الرحمن أيوب ص ٢١٦ .

أن تحطمت حضارة الاغريق كذلك سقط الرومان من قمة مجدهم عندما أهملوا العناية بحياتهم المنزلية واعتبروا الحياة فرصة للمتاع واشباع الشهوات الجنسية .

ومن نتائج تحطيم الاسرة كذلك الهبوط بالمستويات العقلية ، وتضييق الفرص أمام نشأة النابغين لان الاسرة هي المهد الذى تشيع فيه فضيلة التعاون والتساند . وفيها يتعلم المرء كيف يلائم بين نفسه وبين سواه . ويقول «برتراندارسل» فى كتابه (مبادئ الاصلاح الاجتماعى) (مادام الاطفال يعيشون بين أمهاتهم وأبائهم فإنهم يتخذونهم مثلاً يحتذونه فى سلوكهم ويتعلمون منهم الكثير فى طفولتهم المبكرة مما يكون له عظيم الاثر فى نمو شخصيتهم) .

ولذلك كانت العناية بتقوية الاسرة من أهم ما يجب على المصلحين رعايته ، وأخذ الطريق إليه ، ولا يكون ذلك الا بتوخى المبادئ القويمة التى يشاد عليها صرح الاسرة ، وتضمن بقاءها ونموها ، قوية مثمرة .

والزواج هو حجر الاساس ، والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الاسرة . يقول الله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم : ٢١) .

امتن الله تعالى بهذه النعمة التى أنعمها على عباده ، مبتدئاً ذلك بالتنبيه الى أنها آية من آياته ، مبيناً الغاية والفائدة التى تعود عليهم منها وهى «السكن» أى الامن الذى يرفرف على كل من الزوجين ، والثقة المتبادلة التى من شأنها أن تجعل كلا منهما مطمئناً الى صاحبه ، ساكنه اليه ، مستسلماً استسلام من يأوى الى سكنه ، ثم المودة «وهى صلة الحب والجاذبية الطبيعية التى يربط بها بين الزوج وزوجته فيجعل

كلا منهما سعيدا بصاحبه، يجد أكبر المتاع والسرور فى قربه، ثم «الرحمة» التى تكون نتيجة لهذا السكن، ولتلك المودة، وهى العاطفة التى لا تكمل سعادة الانسان الا اذا أحس بأن له نصيبا منها فى انسان بجانبه، يحنو عليه، ويشاركه سرءه وضراءه، ويحتمل معه أثقال الحياة راضيا طيب النفس.

هذه هى «الزوجية» وتلك مكانتها فى سنة الله، وفى حكم الخلق والتكوين. ولذلك يعتبر الله تعالى هذه الرابطة العظمى رابطة مقدسة، والقرآن الكريم يسمى رابطة الزوجية «عقدة النكاح» اشعارا بأنها رابطة وثيقة يجب الحرص عليها. ثم ان القرآن يصف رابطة الزوجية أيضا بأنها «ميثاق غليظ» حيث يقول فى شأن الزوجات ﴿وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ مع أنه يستعمل لفظ الميثاق فى عهد الله تعالى بينه وبين خلقه، وبينه وبين رسله، وفى العهود التى يأمر برعايتها عامة بين الناس بعضهم وبعض، ومما جاء فى هذه الاستعمالات قوله تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به، اذا قلتم سمعنا وأطعنا﴾ (المائدة: ٧)

﴿واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ (آل عمران: ٨١).

بل جاء التعبير بلفظ «ميثاقا غليظا» فى شأن المواثيق التى أخذها الله تعالى على جميع أنبيائه، اذ يقول الله تعالى فى سورة الاحزاب:

﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ (الأحزاب: ٧) (فالتقاء

التعبير بقوله تعالى «ميثاقا غليظا» فى شأن الزوجية وشأن النبوة والرسالة له اىحاءه العظيم بقداسة هذه الرابطة . وأن هذه القداسة قد وصلت فى نظر القرآن الى حد أن يعبر عنها بلفظ يستعمل فى أعظم المقدسات الالهية وهو عهد الله تعالى الى أنبيائه أجمعين .

ترغيب ودعوة :

أمر الله تعالى بالزواج فى مواطن كثيرة من الكتاب الكريم ، وأشار فيه بالقول الجامع الحكيم الى مقاصده . وشجع الهيايين على الاقدام عليه . ونهى عن وضع العقبات فى طريقه .

قال الله تعالى ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله اعلم بإيمانكم ، بعضكم من بعض﴾ (النساء : ٢٥) .

وقال جل شأنه :

﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم . ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ، والله واسع عليم ، وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله . والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم . ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فإن الله من بعد اكرههن غفور رحيم﴾ (النور : ٣٢ — ٣٣) .

حيث أمرت بتزويج اليا مى «غير المتزوجين من الاحرار والعبيد والرجال والنساء ونهت عن جعل الفقر مانعا من المضى فى هذا الامر. ونددت بمنع تزويج الفتيات ابتغاء استمرار الانتفاع المادى بهن، ولا سيما اذا بدت منهن الرغبة فى التزوج ونهت على ما يمكن أن يكون فى هذا المنع من أسباب ارتكاسهن فى البغاء، وأباحت تزويج الاماء بالاحرار الفقراء، لان ذلك أرفق بهم من الناحية الاقتصادية وأيسر لزواجهم، وينطوى فى هذا كله، كما هو المتبادر، هدف الوقاية من الغواية من جهة، والدعوة الى انشاء الاسرة التى ينتظم بها أمر المجتمع وقوى نشاط أفرادها بما يحملونه من مسؤوليات، ويكثر نسل المسلمين الذى به قوام قوتهم وعزتهم من جهة أخرى وفى هذا ما فيه من الحكم البليغة والمرامى السامية^(١).

ورسول الله ﷺ — وما ينطق عن الهوى — قد أكثر من الامر بالزواج والحث عليه. وأكد أن عون من يبتغيه حق على الله تعالى وفاخر بأنه سته، وأعلن براءته ممن يرغب عنها، أو يتركها خوفا من الفقر والعيلة. يقول الرسول الكريم: (تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الامم يوم القيامة) (سنن ابن ماجه).

والزواج هو الراحة وسط متاعب الحياة للرجل والمرأة على السواء. راحة الانسان الذى يسير فى مدارج الكمال. وليس المقصود بالراحة هو الاستقامة الى المتع والملذات والبعد عن التبعات. ولذلك ذكر الامام الغزالى فى الاحياء أن من فوائده (مجاهدة النفس ورياضتها

(١) محمد عزة دروزة: الدستور القرآنى فى شؤون الحياة. دار احياء الكتب العربية القاهرة. ص: ٢٤٧

بالرعاية والولاية والقيام بحق الاهل والصبر على أخلاقهن ، واحتمال
الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين
والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه
أعمال عظيمة فإنها رعاية وولاية ، والاهل والولد رعية وفضل الرعاية
عظيم^(١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «أربع من
أعطين فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلب شاكر ولسان ذاكر وبدن
على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حوبا فى نفسه وماله» (رواه
الطبرانى).

وروى ابن عبد البر أن الرسول سأل عكاف بن وداعة الباهلى :
ألك زوجة؟ قال : لا . قال : ولا جارية؟ قال : لا . قال : وأنت صحيح
موسر . قال : نعم والحمد لله — فقال له الرسول : أنت اذن من اخوان
الشياطين اما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم ، واما أن تكون
منا فاصنع كما نصنع ، وان من سنتنا النكاح . شراركم عزابكم ، وأراذل
موتاكم عزابكم ، ويحك يا عكاف تزوج . فقال عكاف : يا رسول الله لا
أتزوج حتى تزوجنى من شئت فقال الرسول : فقد زوجتك على اسم الله
والبركة كريمة بنت كلثوم الحميرى^(٢).

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال : جاء ثلاثة رهط
الى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا تقالوها —
وجدوها قليلة — فقالوا : أين نحن من النبى ، فقد غفر له ما تقدم من

(١) أبو محمد العزالى احياء علوم الدين كذب اداء النكاح ص ٧٠٠

(٢) بن عبد البر الاستيعاب فى معرفة الصحاب ج ٣ ، ص ١٦٩

ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فاني أصلى الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء النبي ﷺ فقال: أنتم قلتم كذا وكذا! قالوا: نعم. قال: أنا والله أخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني).

فالزواج اذن من سنة الاسلام، وتكاثر المسلمين من أهداف الزواج، فكل من بلغ سن الزواج وكان قادرا عليه في ماله وبدنه وجب عليه أن يتزوج، فيحصن بالزواج نفسه من مزالق الهوى، ويقيم أسرة تزيد في قوة المجتمع الاسلامي.

تكوين الأسرة :

وتبدأ مرحلة تكوين الاسرة من اللحظة التي يشعر فيها الرجل بحاجته الى زوجة تشاركه حياته، وتحمل معه أعباؤها. وحينئذ يبدأ باختيار من تصلح له وتسعده.

وهذه خطوة هامة من خطوات التكوين، فعليها يتوقف نجاح الاسرة في مهامها او فشلها لذا لا يترك الاسلام فيها الانسان لنفسه، بل يحيطه بالارشاد والتوجيه، حتى يصل الى شاطئ الأمان وجني الطمأنينة وحسن العاقبة.

فالزوجة المحمودة هي التي تليي مطالب الزوج جميعا والتي تتوفر فيها صفات الانسانية الفاضلة الى جوار اوصاف الأنوثة المرغوبة. وتلك هي الكفيلة باستقرار الأسرة.

ومبنى الاختيار اعتبار سلامة العقيدة ، والخلق ، قبل اعتبار الانوثة والجمال . قال تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم . أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة﴾ (البقرة : ٢٢١) .

وقال رسول الله ﷺ «تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك» (البخارى) .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ، ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه) .

وبالمقابل أرشد النبي الكريم أولياء المرأة أن يبحثوا عن الرجل ذي الدين والخلق ، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة ، وآداء حقوق الزوجية ، وتربية الأولاد . روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» .

وانظر المقابلة اللطيفة في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ فان فيها اشعاراً بيناً بأن من الحق على كل من الزوجين أن يختار لنفسه ما يناسبه حتى يتم الأنس والوثام المنشود في الحياة الزوجية الصالحة ، ولو كان الاختيار من جانب الزوج فقط لوقع الاكتفاء بالجملة الأولى فقط من هاتين الجملتين من غير

احتياج الى ايراد العبارة الثانية ، فان عبارات القرآن الكريم ليست مجرد اخبار خال عن التوجيه والارشاد^(١) .

ومن القواعد التي وضعها الاسلام في اختيار أحد الزوجين للآخر ان يكون الانتقاء لشريك الحياة من أسرة عرفت بالصلاح والتقوى ، والخلق الكريم .

روى الدارقطنى ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا «اياكم وخضراء الدمن ، قالوا : وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء» .

وروى ابن عدى ، عن عائشة رضي الله عنهما مرفوعا «تخيروا لنطفكم فان النساء يلدن أشباه اخوانهن» وفي رواية «اطلبوا مواضع الاكفاء لنطفكم ، فان الرجل ربما أشبه أخواله» .

ان هذا الاختيار الذي وجه اليه الرسول الكريم ، يعد من الحقائق العلمية ، والنظريات التربوية في العصر الحديث ، فقد أثبت علم الوراثة ان الطفل يكتسب صفات أبوية الخلقية والجسمية والعقلية ، منذ الولادة . فعندما يكون اختيار الزوج أو اختيار الزوجة على أساس الصلاح والتقوى فلا شك أن الأولاد ينشؤون على خير ما ينشؤون من العفة والاستقامة والطهر .

وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة ، وعامل التربية الصالحة ، يصل الولد الى القمة في الدين والخلق .

(١) محمد سلام مذكور : التوجيه لاحكام الأسرة فى الاسلام — دار النهضة العربية ١٩٧٥

الابناء:

النسل هدف أصيل من أهداف الحياة الزوجية .
وهو رغبة لها جذورها في نفس الرجل وفي نفس المرأة على
السواء . فكل انسان يرغب في بقاء اسمه ودوام أثره .
والقرآن الكريم يجعل المباشرة معللة بقصد النسل ، اذ هو أثرها
اللازم في الغالب ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾
(البقرة : ٢٢٣) .

والحرث هو موضع البذر والانبات .
وقد عد الاسلام الأولاد زينة تبهج الحياة وتحقق السعادة .
﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف : ٤٦) .
وعدهم تارة أخرى نعمة عظيمة تستحق شكر الوهاب المنعم .
﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ (الاسراء : ٦) .
وعدهم ثالثة قرّة أعين ان كانوا سالكين سبيل المتقين .
﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين
واجعلنا للمتقين اماما﴾ (الفرقان : ٧٤) .

الى غير ذلك من هذه الآيات القرآنية التي تصور عواطف الأبوين
نحو الأولاد وتكشف عن صدق مشاعرهما ومحبة قلبيهما ، تجاه أفلاد
الأكباد ، وثمرات القلوب .

الأحكام العامة للمولود

بين الاسلام كل ما يتصل بالمولود من أحكام وما يرتبط به من مبادئ تربوية قديمة ، حتى يكون الأب على بينة من الأمر في كل واجب يقوم به تجاه طفله الوليد .

يستحب للمسلم أن يبادر الى مسرة أخيه المسلم اذا ولد له مولود . وذلك ببشارته وادخال السرور عليه ، وفي ذلك تقوية للأواصر ، وتمتين للروابط ، ونشر لأجنحة المحبة والألفة بين العوائل المسلمة ، فان فاتته البشارة استحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد .

والقرآن الكريم ذكر البشارة بالولد في مناسبات عدة . قال الله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام :

﴿ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما . قال سلام . فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكهرهم وأوجس منهم خيفة . قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ﴾ (هود : ٦٩-٧١) .

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام :

﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى ﴾ (آل عمران : ٣٩) .

اما فيما يتعلق بالتهنئة بالمولود . فقد روى الامام ابن القيم الجوزية في كتابه «تحفة المولود» عن ابي بكر بن المنذر انه قال : روي

عن الحسن البصري : ان رجلا جاء اليه وعنده رجل قد ولد له غلام ، فقال يهنئك الفارس : فقال الحسن : ما يدريك أفارس هو أم حمار؟ قال الرجل : فكيف نقول؟ قال : قل (بورك لك في الموهوب ، وشكرت الواهب ورزقت به ، وبلغ أشده) .

وهذه البشارة والتهنئة ينبغي أن تشمل كل مولود ، سواء أكان ذكرا أم انثى دون تفريق .

ومن الاحكام التي شرعها الاسلام للمولود ، التأذين في أذنه اليمنى والاقامة في أذنه اليسرى ، وذلك حين الولادة مباشرة ، فقد روى أبو داود . عن أبي رافع أنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة) .

ويوضح ابن القيم الجوزية في كتابه (تحفة المودود) سر التأذين والاقامة . فيقول (أن يكون أول ما يقرع سمع الانسان كلمات النداء العلوى المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الاسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا ، كما يلقي كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين الى قلبه ، وتأثره به وان لم يشعر) .

ومع ما في ذلك من فائدة أخرى : وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفيه معنى آخر : وهو أن تكون دعوته الى الله والى دينه - الاسلام والى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر

الناس عليها ، سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ، الى غير ذلك من الحكم .

وهذه المعاني التي أفاض فيها ابن القيم ، دليل على اهتمام الرسول الكريم بعقيدة التوحيد والايمان ومطاردة الشيطان والهوى ، من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا ويتنسم نسائم الوجود .

ويستحب تحنيك المولود عقب الولادة . والتحنيك معناه مضغ التمرة ، وذلك حنك المولود بها ، وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع في فم المولود ثم تحريكه يمينا وشمالا بحركة لطيفة ، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة ، وان لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة .

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ حتى يتهيأ المولود للقمة الثدي ، وامتصاص اللبن بشكل قوي ، وحالة طبيعية .

وقد جاء في الصحيحين في حديث أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه ابراهيم ، وحنكه بتمر ، ودعا له بالبركة ، ودفعه الي) .

ويستحب حلق رأس المولود يوم سابعه والتصدق بوزن شعره فضة على الفقراء . والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الأول : حكمة صحية : لأن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له ، وفتحها لمسام الرأس ، وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع (٧) .

الثاني : حكمة اجتماعية لأن التصديق بوزن شعره فضة ، ينبوع من ينابيع التكافل الاجتماعي بين المسلمين .

(١) ابن القيم الجوزية : تحفة المودود .

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب الحلق،
والتصدق بوزن الشعر فضة . ماروى عن الامام مالك في الموطأ عن
جعفر عن أبيه قال : وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر الحسن
والحسين ، وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة .

وذكر ابن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر، عن محمد بن علي بن
الحسين رضي الله عنهم ، قال : عرق رسول الله ﷺ عن الحسن شاة ،
وقال : يا فاطمة أحلقي رأسه ، وتصدقي بزنة شعره فضة ، فوزنته ، فكان
وزنه درهما او بعض درهم .

تسمية المولود

من العادات الاجتماعية المتبعة، أن المولود حين يولد يختار له أبواه اسماً يعرف به، ويتميز لدى القاصي والداني به، وقد اعتنى الاسلام بهذه الظاهرة، ووضع من الأحكام ما يشعر بأهميتها والاعتناء بها.

روى أصحاب السنن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: (كل غلام رهين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه ويحلق رأسه). فهذا الحديث الشريف يقضي أن تكون التسمية في اليوم السابع. وهناك أحاديث أخرى صحيحة تفيد أن تكون التسمية في يوم الولادة منها:

روى البخاري ومسلم عن سهل الساعدي قال: أتى المنذر بن أبي أسيد إلى رسول الله ﷺ حين ولد، فوضعه النبي ﷺ على فخذه وأبو أسيد جالس، فلهى النبي ﷺ بشيء بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من على فخذه النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أين الصبي، فقال أبو أسيد: قلبناه يا رسول الله (أي ارجعناه) فقال: ما اسمه؟ قال: فلان، قال: لا ولكن اسمه المنذر).

وفي صحيح مسلم من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم).

فيؤخذ من هذه الأحاديث، أن في الأمر سعة، فجاز تعريفه وتسميته في اليوم الأول من ولادته، وجاز التأخير إلى ثلاثة أيام، وجاز إلى يوم العقيقة وهو اليوم السابع، وجاز قبل ذلك، وجاز بعده.

ومما يجب أن يهتم به الوالد عند تسمية الولد، أن يختار له من الأسماء أحسنها وأجملها، كي لا يتأذى به ان كان كريها. وهذا حق من حقوق الولد على والده.

فقد روى أبوداود بأسناد حسن عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فاحسنوا اسماءكم).

وكان النبي ﷺ يدعو الى تسمية الأولاد بأسماء فيها معنى العبودية لله أو فيها معنى الخير واليمن، فقد بدل أسماء بعض الرجال والنساء بأسماء اختارها لهم، فبدل اسم ابي بكر من عبد الكعبة الى عبد الله، وكان اسم عبد الرحمن بن عوف عبد الكعبة فسماه عبد الرحمن وبدل اسم رجل كان يدعى «حربا» فسماه «سلما» وبدل اسم رجل كان يدعى «شهابا» فسماه «هشاما». وبدل اسم عاصية بنت ابي الأفلح «فسمها جميلة». ولم يكن النبي ﷺ يفرض تبديل الاسم فرضا، فالاسم هو حق المسمى به، وانما كان يقترح التسمية، فان شاء ارتضاها المسمى وان شاء رفضها، ماعدا الأسماء التي كانت تدل على عبودية غير الله تعالى، فقد روى التابعي الكبير سعيد بن المسيب بن حزن، أن جده «حزنا» قدم على النبي ﷺ فلما سأله عن اسمه قال له : «حزن» - وهو الرجل الصلب الخشن - فأراد النبي ﷺ أن يبدل اسمه ويسميه «سهلا» فأبى وقال : لا أغير اسما سماني به أبي. ويقول ابن المسيب . ان الحزونة مازالت فينا. وقد يبدل النبي ﷺ اللقب، كما بدل لقب زيد بن مهلهل الطائي، وكان يلقب بزيد الخيل لكثرة خيله، فلقب بزيد الخير، وعرف به بعد ذلك.

الكنى والألقاب:

الكنية هي التسمية باسم الأب أو باسم آخر توقيرا وتعظيما ، كأبي القاسم ، وهي كنية النبي ﷺ ، والقاسم هو ابنه من زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها ، وقد توفى صغيرا . وأبى بكر وهي كنية خليفة رسول الله ﷺ واسمه عبدالله . وأبي حفص وهي كنية عمر بن الخطاب . وكان من عادة العرب أن يكنوا الولد وهو صغير ، فقد كنى النبي ﷺ عبدالله بن الزبير - وكان أول ولد في المدينة من المهاجرين - بأبى بكر وأبوبكر هو جده لأمه .

وكان للنساء أيضا كنى ، كأم أيمن واسمها بركة بنت ثعلبة ، وأم حرام واسمها مليكة بنت ملحان الأنصارية ، وأم الدرداء واسمها خيرة بنت أبي حذرة . وأم عمارة واسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية .

وقد تتخذ الكنية اسما وتسمى بها البنت كأم كلثوم بنت الرسول الكريم ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام . وأم العزيز بنت جعفر وتعرف باسم «زبيدة» وهولقب دعاها به جدها المنصور فغلب عليها .

أما اللقب فهو وصف للمسمى يتميز به ، كالصديق وهولقب أبى بكر ، والفارق وهولقب عمر بن الخطاب ، وذو النورين وهولقب عثمان بن عفان .

العقيقة

العقيقة في اللغة . معناها الشق والقطع . وقيل للذبيحة عقيقة لأنها يشق حلقها . وقيل اصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد (١) .

وقد بين النبي الكريم الغرض منها أن تكون قربة لله بحيث لا تخرج الى معصية اذا كانت للمباهاة بها وذلك حينما سئل عن العقيقة فقال : « لا أحب (٢) العقوق » أي العقوق بها . فقال : (من ولد له ولد فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل (٣) فهو لا يستقرض ثمنها فيكون عاقاً أو يشق على نفسه بها .

وعن بريدة الأسلمي قال : كنا في الجاهلية اذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطح رأسه بدمها ، فلما جاء الله بالاسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطحه بالزعفران (٤) .

ويرى الامام مالك أن العقيقة ليست بواجبة « ولكنها يستحب العمل بها (٥) فيذبح عن الجارية كما يذبح عن الغلام ولو عصفورا (٦) » .

واذا كان الغرض منها الصدقة فانه يجوز أن تستبدل بالشاة الفضة ، وفي الحديث (وزنت فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - شعر حسن وحسين ، وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة (٧) .

(١) ابن القيم : تحفة المودود بأحكام المولود ط العلمية (بدون تاريخ) ص ٢٥ .

(٢) ، (٣) ، الموطأ ص ٣١٠ (٤) تحفة المودود ص ٢١

(٥) ، الموطأ ص ٣٣١ (٦) الموطأ ص ٣١٠

ويرى ابن القيم أن العقيقة أفضل من التصديق بثمنها وإن زاد «لأنه سنة ونسيكة مشروعة بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين ، وفيها سر بديع موروث عن فداء اسماعيل بالكبش الذي ذبح عنه وفداء الله به^(١) .

ثم يقول : «فكان الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بثمنه ولو زاد من الهدايا والأضاحي ، فإن نفس الذبح وازاقة الدم مقصود فانه عبارة مقرونة بالصلاة^(٢) كما قال تعالى (فصل لربك وانحر) .

وقد نقل عن بعض السلف أنه لا بأس من الاستقراض قائلًا :
(وانى لأرجو أن استقرض أن يجعل الله الخلف لأنه أحيا سنة من سنن رسول الله ﷺ - واتبع ماجاء^(٣) .

وأزاء كثرة النصوص نرى أن الأمر موكول بانسراح صدر المسلم فينتقى منها ما يتفق والمصلحة ، فاذا ذبح كان له سنك ، وإذا تصدق فانه يتبع ما أمر الله به من الصدقات ، وله أن يعق عن كل من الغلام والجارية شاة ، أو الغلام شاتين والجارية شاة ، وله أن يؤخر وقت العقيقة عن اليوم السابع للمولود^(٤) . وله أن يقدمها مطبوخة أو غير مطبوخة .

أما جلدها وسواقطها فله بيعها ، والتصديق بثمنها ، أو التصديق بها نفسها^(٥) أو يتخذها أهابا أو مصلى في البيت^(٦) .

(٤) تحفة المودود ص ٣٩ .

(٦) تحفة المودود ص ٥٣ .

(١) ، (٢) ، (٣) تحفة المودود ص ٣٦ .

(٥) تحفة المودود ص ٥٢ .

القَتان والخفض

جاء في لسان العرب ان الختان للرجال والخفض للنساء وقد يستعمل لكليهما .

١ - القتان:

الختان أو الختن هو قطع القلفة أو الغرلة وهي الجلدة التي تغطي حشفة الذكر.

ويجرى الختن بعد ثلاثة أيام من ولادة المولود وقد جرى بعد اسبوع او بعد شهرا واكثر. وقد يتأخر الى العاشرة أو أكثر من عمر الصبي .

وكان الختن من سنن العرب قبل الاسلام ، ومن لا يختن يعتبر ناقصا ويدعى «أغلف» أو «أقلف» أو «أغرل» .

ولم يأخذ النصارى بهذه السنة وأبدلوها بغمس أولادهم في ماء مصبوغ بصفرة فيصفرون المولود . وقالوا هذه طهرة أولادنا^(١) .

وأخذ الاسلام بسنة العرب قبل الاسلام في الختن ودعاه التطهير.

روى الامام احمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : من الفطرة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك وتقليم الأظفار وتنف الإبط ، والاستحدا^(٢) والاختتان .

(١) لسان العرب : طهر

(٢) الاستحدا . حلق الشعر الذي يخرج حول الفرج .

٢ - الخفض:

هو قطع بظر الأنثى . وكان من سنن العرب قبل الاسلام أن تمارسه نساء مختصات بالخفض ، وتدعى من تتولاه «الخافضة» أو «الخفاضة» وتدعى أيضا المبطرة^(١) وروى الامام أحمد عن شداد بن أوسى عن النبي ﷺ انه قال : (الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء) .

ويروى أن خفاضة تدعى أم عطية كانت تمتهن هذه المهنة في المدينة المنورة وكانت تبالغ في الاستقصاء ، فأرسل اليها الرسول ﷺ وقال : (إذا خفضت فأسمى ولا تنهكي فانه أحسن للوجه وأرضى للزوج)^(٢) .

والغاية من الخفض كما يقول الجاحظ - تقليل غلمة النساء ، فيكون العفاف عليهن مقصورا والبغاء تجد في اللذة ما لا تجده المختونة ، فان كانت مستأصلة مستوعبة كان على قدر ذلك ، ولذلك قال النبي ﷺ للخاتنة (يأم عطية أشميه ولا تنهكيه) كأنه أراد أن ينقص من شهوتها بقدر مايردها الى الاعتدال ، فان شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الأزواج ، وحب الزوج قيد في الفجور^(٣) ومن ذلك يتبدى عناية الاسلام بالمرأة منذ الطفولة زينة لزوجها ، وقد أباح أن يثقب أذن المولودة^(٤) لوضع الأقراط في أذنها دون اصابتها بألم .

(١) لسان العرب : بظر .

(٢) الجاحظ : الحيوان ج٣ ، ٥١/٥٢ .

(٣) الجاحظ : الحيوان ج٦ ، ص ٢٧/٢٩ .

(٤) ابن القيم الجوزية : تحفة المودود في أحكام المولود ص ١٢٤ .

الرضاع

الرضاع هو مص الرضيع اللبن من ثدي المرأة مدة الرضاع .

وقد خلق الله تعالى الطفل وخلق له غذاءه معه في ثدي الأم محتويا على جميع العناصر اللازمة لتكوين جسمه ، وجعله غذاء مناسباً له سهل التناول والهضم وإن الأم تجد في نفسها دافعا قويا واستجابة فطرية لارضاع طفلها واشباعه فهي أقرب الناس اليه وأكثرهم شفقة وحنانا ، فكان من الطبيعي أن يرد النص القرآني موجها للأمهات لارضاع أولادهن وذلك في قوله : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ . (البقرة : ٢٣٣) .

إن الله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين ، لأن سبحانه يعلم أن هذه الفترة هي المثلى من جميع الوجود الصحية والنفسية للطفل . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نموا سليما من الوجهتين الصحية والنفسية .

١ — مزايا لبن الأم :

تركيبه ونوعيته : خلق لبن الأم وكون حسب حاجة واحتمال جسم الرضيع وأجهزته المختلفة . فهو لذلك أكثر ملاءمة للطفل وأكثر احتمالا ، وأقل ضررا من أي لبن آخر حيواني ، مهما كانت التعديلات والاضافات التي يمكن اجراؤها على هذا اللبن الحيواني .

فلبن الأم يلائم الرضيع كما يلائم غريزته وقد يتحول من يوم لآخر ليلائم الرضيع ، فهو يحوي كافة المواد الغذائية من بروتينات وكربوهيدرات ودهن ومعادن وفيتامينات .

٢ — سهولة الهضم:

لبن الأم سهل الهضم ، ويتم هضمه خلال فترة لا تتجاوز ١ - ٢ ساعة بينما هضم لبن البقر يتأخر .

٣ - طهارته:

يأخذ الطفل لبن أمه مباشرة من حلمة ثديها دون الحاجة الى أية وسيلة بينما لا يخلو اللبن الصناعي من التلوث مهما حسنت طرق تحضيره .

٤ - ثبات حرارته:

يتناول الطفل جميع رضعاته من الأم بدرجة واحدة من الحرارة ، بينما يصعب توافر هذه الشروط في اللبن الصناعي .

٥ - اقتصادي:

ان لبن الأم اقتصادي في المال والوقت . فهو يوفر ثمن اللبن و ثمن الزجاجات والحلمات و ثمن الوقود ويوفر وقت الأم الذي يستغرقه تجهيز الرضعات في حالات الرضاعة الصناعية .

٦ - لبن الأم يقوى الرابطة الروحية والعاطفية:

فهو يجعل الأم أكثر عطفًا وارتباطًا واعتناء بطفلها وهو الضمان الوحيد الذي يحدو بالأم لأن تعتني بطفلها بنفسها .

٧ - لبن داعم:

لبن الأم يدعم الزمرة الجرثومية الطبيعية في الأمعاء ذات الدور الفعال في امتصاص الفيتامينات وغيرها من العناصر الغذائية بينما تضطرب هذه الزمرة في حالات الرضاعة الصناعية .

٨ - التحسس:

الرضاعة من الأم نادرًا ما تسبب مشكلات للطفل كالاسهال والنزف المعوي . ومظاهر التحسس الشائعة، كما ان المغص والأكزيما أقل .

٩ - بدون أمراض:

نادرًا ما تسبب الرضاعة الطبيعية أمراضًا لدى الطفل ، في حين أن الرضاعة الصناعية قد تؤدي إلى التهابات الطرق التنفسية والتهاب الأذن الوسطى واللثة^(١) .

ومن الحقائق العلمية الجديدة ما أثبتته العلم أخيرًا من أن لبن الأم أو حليب الأم يقاوم شلل الأطفال .

لقد ثبت بصفة قاطعة أن مرض شلل الأطفال كان قليل الوجود

(١) عماد إبراهيم الحطيط . حليب الأم وفوائده مجلة الرابطة العدد ٢٦٠ ربيع الاول ١٤٠٧ هـ

— ديسمبر ١٩٨٦

في القرون الماضية لالشيء الا لأن الأمهات كن يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية . وهناك أدلة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة نذكر منها :

— أولاً: عندما حل مرض شلل الأطفال بحالة وبائية في شمال كندا . نجا الأطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية من الاصابة بهذا المرض .

— ثانياً: مرض شلل الاطفال كان اكثر انتشارا في البلاد المتمدنة التي اهملت الرضاعة الطبيعية ^(١) .

الرضاعة في مصلحة الأم:

الرضاعة الطبيعية لها فوائد ومصالح للأم وذلك لما يلي :

— أولاً: تساعد الرضاعة من الثدي على تقلص الرحم عند الأم لافراز مادة الأوكسينوسين من الغدة النخامية ، فتساعد على تقلص الرحم ، وتفيد في عملية انطمار الرحم بعد الولادة كما يقلل من الدم النازف بعد الولادة .

— ثانياً: وجد أن النساء المرضعات أقل اصابة بسرطان الثدي من غير المرضعات .

— ثالثاً: الارضاع الطبيعي يعتبر منظماً للنسل ، اذ يسبب انقطاع الدورة الشهرية بشكل فزيولوجي عند بعض النساء ^(٢) .

ان من حق الطفل في الاسلام أن يرضع لبن أمه وهي آمنة على رزقها وقوتها وسكنها وكل مايلزمها لأن الزوج مأمور أن ينفق عليها منذ

(١) عز الدين فراخ : بين لبن الام واللبن الحليب محلة ، الدوحة العدد ٩٧ ربيع الاول ١٤٠٤ هـ .

— ديسمبر ١٩٨٦ .

(٢) عماد ابراهيم : مصدر سابق .

زواجها وحتى إذا تم طلاق وهي حامل فإن نفقتها مستمرة على الزوج الى أن تضع فيترتب لها ولولدها نفقة أخرى . وإذا مات الزوج وهي حامل فإنها ترثه ويرث ابنها نصيبه بل على الوارث أن يقوم بواجب الوالد المتوفي لاسترضاع الطفل من أمه أو من غيرها وكله بأجر . ومما يثبت أن المرأة تظل زوجة في أشهر العدة أنها ترث الزوج بنصيبها الشرعي إذا مات وهي تقضي شهور العدة .

وما العدة إلا ضمان لعدم اختلاط الأنساب فلا يحل للمرأة أن تتزوج الا بعد انقضاء شهور العدة ضمانا لطهارة النسب . بل انها اذا كان الزوج حيا تعيش في البيت ولا يحل للزوج أن يخرجها من بيتها بمجرد وقوع الطلاق .

﴿يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم . لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . وتلك حدود الله . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (سورة الطلاق : ١) . ثم يتم الطلاق بعد انقضاء العدة فاذا كانت حاملا فبعد أن تضع وليدها .

الحضانة

من معاني الحضانة في اللغة ضم المرأة ولدها الى نفسها وقيامها بتربيته فيقال حضنت المرأة الصبى أى جعلته فى حضنها . وهى فى اصطلاح الفقهاء لا تبعد عن هذا المعنى اذ يطلقونها على تربية الولد ممن له حق الحضانة^(١) .

وأحق الناس بحضانة الطفل أمه ، غير أنه قد تعرض أمور يركب فيها الوالدان مركب العناد فإذا كان الطفل مميزا خير بين أبويه ، وإذا لم يبلغ سن التمييز فأمه أولى بحضانته .

ففى رواية عن عبد الحميد بن جعفر الانصارى أن جده أسلم ، وأبت امرأته أن تسلم ، فجاء بابن صغير له . ولم يبلغ ، فأجلس النبى ﷺ الاب هاهنا والام هاهنا ، ثم خيره وقال : اللهم اهده ، فذهب إلى أبيه^(٢) .

وعن أبى هريرة : جاءت امرأة الى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ان زوجى يريد أن يذهب بابنى وقد سقانى من بثر أبى عنه وقد نفعنى ، فقال له النبى — عليه الصلاة والسلام — هذا أبوك وهذه أمك . فخذ بيد أحدهما شئت فأخذ بيد أمه . ولم يسأل عن سنه^(٣) .

وإذا كان لا يعدل حنان الوالدين لاولادهما شىء فإن حضانة الاطفال تكون للصالحين لهذه الحضانة من أقارب الطفل بحيث لا

(١) ابن عابدين ج٢ .

(٢) مسند الامام الشافعى ص ٢٨٨ وفيه تحجير بين الام والعم .

(٣) تحفة المودود ص ١٧٧ .

يضيّقون به ، ولا يضاربهم ، وفى سيرة النبى ﷺ ما يشير الى أن الجد بعد الاب أولى بحضانة حفيده . فقد كان يوضع لعبد المطلب بن هاشم فراش فى ظل الكعبة . فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه أحد من بنيه احلالاله ، فكان رسول الله ﷺ — يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم :

دعوا ابنى ، فوالله ان له لشأنا ، ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع ^(١) .

ويلاحظ فراسته فى محمد ولما يبلغ — عليه الصلاة والسلام — ثمانى سنين ^(٢) . وهكذا يجب على الكافل أن يتحسس النجاسة فيمن يكفله .

ثم آلت كفالته الى عمه أبى طالب ، وتحدثنا السيرة العطرة عن انتقال هذه الكفالة الى أبى طالب وذلك لان عبد الله أبى رسول الله ﷺ وأبى طالب أخوان لاب وأم ، أمهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ ^(٣) . وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله ﷺ فكان إليه ومعه ^(٤) .

والحضانة كما هى حق للصغير تثبت أيضا حقا لا قربائه المحارم من النساء أولا فإذا لم يوجد منهن من يصلح للحضانة انتقل هذا الحق الى عصبته من الرجال ويشترط فى الحاضنة أن تكون حرة بالغة عاقلة ،

(١) ابن هشام : سيرة النبى ج١ ، ص ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ١٨٠ .

(٣) ، (٤) المصدر نفسه ج١ ص ١٩٢ .

وأن تكون قادرة على القيام بشؤون الصغير، وأن تكون أمينة على نفسه وماله وخلقه، وألا تكون مرتدة، وألا تمسكه عند غير ذى رحم محرم منه .

كما يشترط ألا تكون الحاضنة متزوجة بغير ذى رحم محرم من الصغير، لأنها تكون قد أمسكتة عند أجنبى عنه قد لا يعطف عليه فيتعرض الصغير لنظرات الكراهية ويشعر بالجفوة مما يسبب له آلاما نفسية، فإذا طلقت من الاجنبى استردت حقها فى الحضانة .

وتجب للحاضنة أجرة ان لم تكن الزوجية قائمة بين الحاضنة وبين والد الصغير ولم تكن معتدة من طلاق رجعى أو بائن، وتكون أجرة الحضانة واجبة فى مال الصغير اذا كان له مال لان نفقته فى ماله وأجرة الحضانة من النفقة .

وتنتهى الحضانة ببلوغ الصغير السن التى يستغنى فيها عن خدمة النساء .

كفالة اليتيم :

أما كفالة اليتيم فهى كفالة للضعف الانسانى، وللنبت الصغير أن تعصف به العواصف، واليتيم من مات أبواه أو أحدهما وهو صغير. وقد عنى الاسلام بأمر اليتيم والحث على تربيته والمحافظة على نفسه وماله، وقد ظهرت عناية القرآن الكريم بشأن اليتيم منذ أن نزل، الى أن أكمل الله دينه، وأتم على المؤمنين تشريعه . ظهرت فى مكة حينما عاد الوحي الى النبى الكريم بعد أن فتر عنه مدة طويلة، يذكره بعناية الله له قبل النبوة وهو أحوج ما يكون الى عطف الابوة التى فقدوها ولم يرها ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ (الضحى : ٦) ثم يطلب منه الشكر

على تلك النعمة، وأن يكون شكرها من جنسها، عطف على اليتيم ورحمة به ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى : ٩).

وجعل الله ازدراء اليتيم واهمال أمره آية من آيات التكذيب بيوم الدين ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْدينِ، فذلك الذي يدع اليتيم﴾ (الماعون ١ — ٢).

ويجعل الوصية به احدى الوصايا العشر التي لم تنسخ في ملة من الملل وينظمها مع الايمان بالله في سلك واحد ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الى ان يقول ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الانعام : ١٥١ — ١٥٢).

وفى سورة النساء برزت عناية خاصة باليتيم فى شأنه كله، ومهدت لهذه العناية بطلب تقوى الله والارحام وبيان ان الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة، فاليتيم حتى وان كان من غير اسرتكم، أخوكم ورحمكم، فقوموا له بحق الاخوة، وحق الرحم واحفظوا أمواله، وهذبوا نفسه واحذروا اغتيالها وأكلها، واحذروا اهماله وإلقاء حبله على غاربه، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ أَنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء : ٢) ويقول ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ (النساء : ٦).

وجعلت الشريعة لليتيم نصيبا من الغنائم فقال سبحانه : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ للهَ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» (الانفال : ٤١)، وتأمل
الحكمة القرآنية فى أن يكون لليتامى واضرابهم حق فى الفىء ﴿لكي لا
يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾ (الحشر: ٧) ورعاية اليتيم القريب أولى
كما يقول الله تعالى ﴿أواطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة﴾
(البلد : ١٤ — ١٥).

وتأمل رحمة الله تعالى تنقذ مالا من الضياع ليتيمين كان أبوهما
صالحا فتحرى الكسب الحلال ليبقى لولديه مصونا الى أن يبلغا
أشدهما قال الله تعالى :

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز
لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك﴾ (الكهف : ٨٢).

ولقد دعا الرسول الكريم فى مواطن كثيرة الى الرحمة باليتيم
وحدث عليها، فيروى عن أبى هريرة أنه قال . قال رسول الله ﷺ «والذى
بعثنى بالحق نبيا ، لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ، وألأن له فى
الكلام ، ورحم يتمه وضعفه ، ولم يتناول على جاره ، بفضل ما آتاه الله»
(رواه الطبرانى).

اللقيط :

اللقيط هو الصغير الحى الذى لا يعرف له أب ولا أم وتخلص منه أهله
خشية الفقر أو خوفا من الفضيحة والعار أو التخلص منه لاي سبب آخر.

ويحرم على من التقطه أن يتركه هملا لان فى نبذه تعريض له

للهلك ، واتلاف النفس الانسانية بغير حق مما يحرمه الدين وتأباه الفطرة . واللقيط يحكم بحريته واسلامه لان الناس كلهم أحرار بحكم الاصل ، كما أن اللقيط يعتبر مسلما تبعا لدار الاسلام^(١) .

وكذلك إذا كان على غير الاسلام وأسلم وهو فى السابعة من عمره ثم رجع عن الاسلام أجبر على الاسلام^(٢) لكيلا تتلفه أيدي التنصير أو من لا دين له . ويكفل اللقيط من التقطه ورضى أن يكون له نفقته ، فإذا تنازعه غير واحد فأرجحهم فى حكم القضاء أولى به .

وإذا لم يعرف له اسم سمي اسما حسنا كعبد الله وعبد الرحمن ، ويحرم عليه أن يدعى الى غير أبيه وهو يعلم أباه لقوله — ﷺ — « لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فهو كفر^(٣) أى كفر بالنعمة^(٤) » .

وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا ادعى نسب اللقيط رجل مسلم وهو يعتقد أنه ليس ابن غيره ، ثبت نفسه منه ، حفظا لكرامته واعزازا له بين أمتة ، بانتسابه الى أب معروف ، ومتى ثبت نسبه ثبت له جميع حقوق النبوة ، من نفقة وتربية وميراث . أما اذا لم يدع أحد نسبه ، فإنه يظل بيد الملتقط تكون له ولايته وعليه تربيته وتثقيفه بالعلم النافع فى الحياة ، أو الصنعة الكريمة المثمرة ، حتى لا يكون عالة على الأمة . ونفقته فى تلك الحالة واجبة على بيت المال ، ينفق عليه وهو فى يد الملتقط ، ويكون الملتقط مسؤولا عنه فى كل ما يحتاجه وينفقه ، من عمل وتوجيه ، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لمن

(١) محمد سلام مذكور: الوجيز لاحكام الاسرة فى الاسلام . دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٥ ص ٤٤٦ .

(٢) تحفة المودود ص ١٧٩ .

(٣) ، (٤) صحيح البخارى بحاشية السندى ١٧٠ / ٤ .

التقط طفلاً: «لك ولاؤه، وعلينا نفقته»، وكان يفرض له من المنفقة ما يصلحه ويقوم بشأنه، ويعطيه لوليه كل شهر، ويوصى به خيراً. ومع هذا قرر الفقهاء أن الملتقط إذا كان سيء التصرف لا يهتدى إلى وجوب التربية المثمرة، أو كان غير أمين على ما يعطى من نفقته وجب نزعته من يده، ويتولى الحاكم عندئذ تربيته والإشراف عليه، كما يتولى رزقه ونفقته^(١).

التبني :

أما التبني فينبغي لمعرفة حكم الشريعة فيه أن يعرف، أن له في معناه صورتين :

أحدهما : أن يضم الرجل الطفل الذي يعرف أنه ابن غيره إلى نفسه، فيعامله معاملة الأبناء من جهة العطف والانفاق عليه ومن جهة التربية والعناية بشأنه كله، دون أن يلحق به نسيبه، فلا يكون ابناً شرعياً ولا يثبت له شيء من أحكام البنوة. والتبني بهذا المعنى، صنيع يلجأ إليه بعض أرباب الخير من الموسرين الذين لم ينعم الله عليهم بالأبناء، ويرونه نوعاً من القربة إلى الله بتربية طفل فقير، حرم من عطف الأبوة أو حرم من قدرة أبيه على تربيته وتعليمه، ولا ريب أنه عمل يستحبه الشرع، ويدعو إليه. ويشيب عليه، وقد فتح الإسلام للموسر في مثل تلك الحالة باب الوصية، وجعل له الحق في أن يوصى بشيء من تركته يسد حاجة الطفل في مستقبل حياته، حتى لا تضطرب به المعيشة، ولا تقسو عليه الحياة .

أما الصورة الثانية : فهي أن ينسب الشخص إلى نفسه طفلاً

(١) محمود شلتوت : الفتاوى ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

يعرف أنه ولد غيره، وليس ولد له، ينسبه الى نفسه، نسبة الابن الصحيح ويثبت له أحكام البنوة من استحقاق ارثه بعد موته، وحرمة تزوجه بحليلته. وقد عمل بهذا النظام كثير من الامم فى العصور القديمة والوسطى، ولايزال معمولا به فى كثير من الامم الغربية وغيرها فى العصر الحاضر، بشروط وأوضاع تختلف باختلاف الامم التى أخذت به.

وكان العرب قبل الاسلام يطبقونه فى نطاق واسع. وقد تبنى الرسول الكريم نفسه قبل النبوة، جريا على عادة العرب، زيد بن حارثة، مع أنه كان معروف الاب والام، فكان يدعى زيد بن محمد. ولا يخفى ما يؤدى اليه نظام التبنى من اختلاط فى الانساب، وتوهين لحرمة القرابة، وأضعاف لوشائج الدم، وافساد لمقومات الاسرة، واثارة لعوامل الفتنة والضعينة، واضرام لنار الشقاق والنزاع بين العشائر والاسرات.

ولذلك حرمه الاسلام تحريما باتا، وأنكره القرآن فى عبارات قوية تنم على تعارضه مع الدعائم السليمة التى ينبغى أن تقوم عليها نظام الاسرة الانسانية. وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه، وما جعل أزواجكم اللاتى نظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ — الادعياء هم الذين كان الناس يتخذونهم أولاداً بطريق التبنى — ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل. ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم﴾ (الاحزاب : ٤ — ٥).

وبهذا النص الكريم ألغى الاسلام التبني إلغاء تاما، فانتسب أبناء التبني كلهم الى آبائهم الحقيقيين، وأما الذين كانوا غير معروفى الآباء فاكثفوا بنسب الاسلام وصاروا اخوة وموالى للمسلمين .

وفى هذا يقول عبد الله بن عمر: (ما كنا ندعوزيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله﴾ فدعونا زيد بن حارثة) ولحرص الاسلام على القضاء على هذا النظام وإزالة جميع آثاره، ولقوة تأصله فى نفوس العرب، لم يكتف الاسلام بالغائه بالقول، بل رأى كذلك أن يقضى عليه بطريق عملى، فأوصى الله تعالى الى نبيه أن يتزوج زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة الذى كان الرسول الكريم قد تبناه قبل المبعث ليبين للناس بطريق عملى انه لا تبني فى الاسلام وان الدين الجديد قضى على هذه القرابة المصطنعة، ومحا جميع آثارها. وأحل ما كانت تحرمه، ومن ذلك زواج الرجل بمطلقة من تبناه. وذلك ان العرب قبل الاسلام لانزالهم المتبنى (بالفتح) منزلة الابن من جميع الوجوه، كانوا يحرمون على من تبناه أن يتزوج بمطلقة، كما يحرم على الاب أن يتزوج بمطلقة ابنه من صلبه. فجاء زواج الرسول الكريم بمطلقة زيد بن حارثة تقريرا عمليا لالغاء هذا النظام اذ يقول: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا﴾ وذلك كناية عن طلاقه إياها «زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعياءهم اذا قضوا منهن وطرا﴾ (الاحزاب: ٣٧).

ولتوكيد هذا الحكم يقول الله تعالى فى الآية التى بين فيها من يحرم الزواج بهن ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم

وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت . . إلى قوله تعالى :
وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴿ النساء : ٢٣ ﴾ .

أى أن الإبناء الذين يحرم على الآباء الزواج بمطلقاتهم أو أراملهم
هم الذين ينحدرون من أصلابهم لا الذين يجيئون عن طريق الادعاء
والتبني الذين قضى عليه الإسلام^(١) .

(١) على عبد الواحد وافي : من أجل أسرة قوية . مجلة العروة الوثقى . العدد ٣١ . شعبان
١٤٠٢ هـ

النفقة

فرض الله تعالى على رب الأسرة رزق أولاده من ماله، وأوجب عليه السعى، والكسب من أجلهم، والتشريع الاسلامى لم ينظر الى هذه التبعة على أنها مسؤولية مالية جافة كمسؤولية المدين، بل أضفى عليها وصف العبادة والطاعة، فهى فوق ما فيها من مسايرة الفطرة وما تحققه من اللذة الروحية تحتسب له طاعة وصدقة يشبه الله عليها. قال عليه الصلاة والسلام: (كل معروف صدقة. وما أنفق الرجل على أهله كتب له صدقة، وما وفى المرء به عرضه كتب له به صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله، والله ضامن).

وقال ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقة — أى فى اعتاق عبد أو أمة — ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك».

وإذا كان للاب الاجر والثواب فى التوسعة على الاهل، بالانفاق على الاولاد فإن عليه بالتالى الوزر والاثم اذا أمسك عن الانفاق، وقتر على الاهل والاولاد وهو مستطيع. يقول ﷺ فى حق المضيعين لعيالهم والممسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم، فى الحديث الذى رواه أبو داود «كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت» وفى رواية لمسلم «كفى بالمرء اثما أن يحبس عمن يملك قوته».

وللولد — ذكرا أو أنثى — قبل والده — الحق فى النفقة والتعليم والتوجيه ، الى بلوغ الرشد ، ان كان ذكرا ، والى الزواج ان كانت أنثى .

اذ يستفاد من نهى الآباء عن قتل أولادهم خشية الفقر وعدم استطاعة الانفاق عليهم ، فى قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾ — ذكرا أو أنثى — (أى خشية ألا تستطيعوا الانفاق عليهم ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ أى نحن الله جل جلاله — نتكفل برزقهم معكم ، وتكفلنا برزقهم يأتى فى الدرجة الاولى ﴿ ان قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ (الاسراء : ٣١) .

اذ يستفاد من هذا النهى ، وجوب نفقة الاولاد على الآباء ، وحق الاولاد على آبائهم فى هذه النفقة . وهذا أمر طبيعى لا يحتاج الى تقرير الاسلام اياه صراحة ، لذا كل ما يأتى به الاسلام فى هذا الجانب هو أن يرفع كابوس التشاؤم من على الآباء ويعيد الى نفوسهم الثقة باستطاعتهم أن ينفقوا على أولادهم الذين هم فى أمس الحاجة الى الرعاية من جانبهم ، طالما يعتمدون على الله ويسلكون السبيل السوى فى تحصيل الارزاق لهم ولأولادهم ، فى بعد عن كل ما حرمه الله فى شأن المال : من أكل الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وتطفيف الكيل والوزن ، فضلا عن النصب والسرقة .

وفى الاسلوب الذى برز فيه النهى عن قتل الاولاد فى هذه الآية ، وما تبعه من عهد الله على نفسه برزق الاولاد . ما يطمئن النفوس القلقة بسبب لقمة العيش ، التى قد يدفعها القلق الى قتل الاولاد تخلصا من هموم تحصيل الرزق لهم .

ووجوب انفاق الآباء على الاولاد هو الى سن الرشد ، أى الى سن التمييز واستقلال الشخصية وضعف التردد فى الحكم والاختيار ، هذا

التردد الذى يعد ظاهرة نفسية لمرحلة المراهقة السابقة لانه اذا كان الولد فى سن الطفولة يعجز عن الكسب والسعى من أجل الرزق بسبب ما به من ضعف البدن، فإنه يعجز كذلك عن الكسب والسعى من أجل الرزق فى سن المراهقة بسبب الضعف النفسى أو العقلى، وهو الضعف فى مجال الاختيار والمشئمة. ولكنه عندما يبلغ المرحلة الفاصلة فى حياته، وهى مرحلة الاستقلال أو الرشد، فإنه يكون ذا استطاعة على كسب العمل من الوجهتين: الجسمية والنفسية معا. ومن أجل ذلك لا يمتد حق الذكر قبل والده فى النفقة الى ما بعد فترة الرشد، الا اذا كان هناك داع يحول بينه وبين الكسب مؤقتا، كإتمام التعليم مثلا، فيمتد هذا الحق الى حين الانتهاء منه.

والقرآن فى تحديد تسليم أموال اليتامى إليهم بسن الرشد استهدف: أن الرشد هو استقلال الانسان، سواء فى الكسب أو فى مباشرة التصرف. كما هو امانة المسؤولية الكاملة فى الصواب والخطأ معا: فى الفعل، أو فى الاعتقاد ﴿وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا﴾ أى بالفعل وتمييزا بين الاشياء يدل على استقلالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ أى لياشروا التصرف فيها بأنفسهم (النساء: ٦).

أما الانثى فلأن الشأن فيها: أنها لا تخرج للكسب ولا لمباشرة العمل فى مجال تختلط فيه بالرجال، حفاظا على كرامتها وحياتها. فقد امتد حقها فى النفقة على ذى عصبه لها من والد الى جد لها الى أن تتزوج فينتقل حقها فى ذلك عندئذ، ويصبح على زوجها فى الاسرة الجديدة. فإذا أرادت أن تباشر كسب العمل بنفسها وتسقط حقها فى

النفقة على ذى عصبه لها فالاسلام غير مسؤول بعد ذلك عن اهانتها وانتهاك حرمتها، وحق الولد — ذكرا أو أنثى — على والده فى التعليم والتعرف على الاسلام كمنهج للحياة يمليه الاسلام كعضو فى المجتمع الاسلامى . أما التعلم لتعرف سبيل العيش والتمكن من السعى لتحصيل رزق الله فهو جزء لا يتجزأ فى تحقيق الرشد لدى الانسان وبالتالي فى استقلاله وعدم حاجته الى والده بعد ذلك فى الانفاق عليه^(١).

واذا قام الأب بمسؤوليته، وأدى ما يجب عليه لاعضاء اسرته، فليس له أن يختص بعض ولده بشىء من ماله دون الباقين، حتى لا يوغر عليه الصدور، ولا يوقع بينهم البغضاء، فتضعف روابط الاسرة، ويلحق ببيانها الوهن، قال النعمان بن بشير أعطاني أبى عطية فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إني أعطيت إبنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله. فقال له عليه الصلاة والسلام: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال: أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟ قال: بلى. قال: فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم. وقال: فلا أشهد على جور.

واذا كان المال مال رب الاسرة، وهو ملك خالص له، ومن حقه ان يتصرف فيه كما يريد، فإن عليه أن يراعى بجانب هذا أن لاسرته حقوقا تعلقت بهذا المال، وأنه لا يملك أن يضيع هذه الاسرة لافى حياته ولا بعد موته. وان كان ذلك من طريق الانفاق فى القربى

(١) محمد البهى: حقوق الانسان فى القرآن ٦١ — ٦٢. (بحث مقدم للمؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية). بالقاهرة. المحرم ١٣٩١ هـ — مارس ١٩٧١ م.

وأعمال البر فقد قال عليه الصلاة والسلام :

(خير صدقة ما كان عن ظهر غنى . وابدأ بمن تعول) .

وأمر الناس بالصدقة فقال له رجل : يا رسول الله عندى دينار .
قال : تصدق به على نفسك . قال : عندى آخر . قال : تصدق به على زوجتك . قال : عندى آخر . قال : تصدق به على ولدك . قال : عندى آخر . قال : تصدق به على خادمك . قال : عندى آخر : فقال : أنت أبصر به) .

وروى جابر بن عبد الله أن رجلا أتى النبى ﷺ بمثل البيضة من الذهب . فقال : يا رسول الله هذه صدقة ، ما تركت لى مالا غيرها .
فحذفه بها النبى ﷺ فلو أصابه لآوجه . ثم قال : ينطلق أحدكم فينخلع من ماله ثم يصير عيالا على الناس) وقال لسعد حينما عرض عليه أن يوصى بكل ماله أوبأكثره . الثلث ، والثلث كثير أنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) .

ان الاب فى الاسلام يؤمر بأن يتفق على الطفل منذ هونطفة فى بطن أمه(*) . حتى اذا مات الاب فإن نفقة الام الحامل تكون على من ورث الاب المتوفى . ومن هنا كان نصيب الذكر مثل حظ الانثيين ، لا

(*) قارن بين حقوق المرأة والطفل فى الاسلام وبين ما يحدث فى الغرب . ففى انجلترا مثلا كان منذ قرن واحد فقط من حق الرجل أن يترك زوجته وأولاده بلا شىء يقيم أودهم ثم يعود ليأخذ كل ما تملك . ان كانت قد ملكت شىء فى عيابه . ليبدده دون أن يسأله أحد حسابا ، ثم يهجرها من جديد وهكذا . فلا نفقة يكفلها القانون للزوج وللأولاد ، ولا ملكية للمرأة أيا كانت بل هى وما تملك أمام القانون ملك حالى لزوجها . بل ان المرأة لم تنل الحق فى أن تملك شىئا خاصا بها إلا سنة ١٨٧٠ م . ولم تنل الحق فى حضانة أولادها الا فى سنة ١٨٨٦ . ولم تنل حق الارث إلا بعد ذلك وهكذا . فكل هذه الحقوق التى وصلت إليها المرأة الغربية حديثة جدا بالنسبة الى الحقوق اثنائه التى أعطاهها إياها الاسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام (اسماعيل مظهر كتاب المرأة فى عصر الديمقراطية) .

مفاضلة ولا تفضيلا انما حق وواجب، بل ان الرجل مأمور بالانفاق على والديه الى جانب زوجه وأولاده بل على كل امرأة من ذوى قرباه لا عائل لها. والمرأة ترث النصف دون أية أعباء.

فإذا كان الأب مكلفا بالانفاق على ابنه الى أن يستغنى الابن، أى إلى أن يستطيع كسب رزقه. أوليس هذا أضمن للطفل من كل القوانين الحديثة والتشريعات المعاصرة التى تسن لتحرم تشغيل الصبية دون سن معينة فى أعمال شاقة وخطرة أو غير ذلك. لان تشغيل الاطفال فى سن مبكرة يضرهم صحيا وبدنيا وله أبعاد اجتماعية واقتصادية على المدى الطويل. والسؤال فإن كان الوالد عاجزا عن أن ينفق على أولاده؟ فالجواب أن المشكلة هنا وليست فى قوانين لتشغيل الاحداث وغير ذلك، فليتكاتف المجتمع وليطبق الاساس الاسلامى لتوظيف أموال المؤمنين. فالمال فى الاسلام عارية، ونحن مستخلفون عليه فى الارض لينفق فى سبيل المؤمنين. يقول الله تعالى: ﴿آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ . وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧) فالانفاق أحد التكاليف التى ألهاها الله تعالى على الفرد، فيما جعله مستخلفا فيه من مال: وقال الفخر الرازى فى هذا المعنى (وان الفقراء عيال الله. والاغنياء خزان الله، لان الاموال فى أيديهم أموال الله، ولولا أن الله تعالى ألهاها فى أيديهم، لما ملكوا منها حبة. فليس بمستبعد أن يقول الملك لخازنه: اصرف طائفة مما فى تلك الخزانة الى المحتاجين من عبيدى)^(١).

وروى أبو عبيد فى «الأموال» عن أبى بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: «ان الله تعالى فرض على الاغنياء فى أموالهم بقدر ما

(١) الفخر الرازى: ج٤، ص ٤٥٨.

يكفى فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا، أو جهدوا، فبمنع الاغنياء. وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة^(١).

أمر الله بالزكاة، وجعلها من قواعد الاسلام. وحث على الصدقة. والزكاة ما يخرجها الانسان من ماله وهى واجبة. والصدقة ما يتطوع به الانسان من المال. وقد علق الشاه ولي الله دهلوى عالم الاجتماع المسلم تعليقات هامة على مكانة الزكاة باعتبارها عاملا خطيرا فى الحياة الاجتماعية والخلقية للجماعة المسلمة فقال: (يجب أن لا يفوتنا أن الزكاة قد فرضت لتحقيق غرضين: التحكم فى النفس والهوى، وحماية أبناء المجتمع من آفات الفقر والعوز. ان الغنى يورث الشح والانانية ويشيع الكراهية بين الناس بل وينزل بالمستوى الخلقى لاصحابه. وخير علاج لهذه الشرور أن ينفق الانسان ماله فى الخير فعند ذلك يزيل كراهية الناس له ويقطع جذور البخل فى نفسه كما يعالج فى المجتمع داء الانقسام ويمد أفراد بروج من الزمالة التى تصبح أساسا لبناء الشخصية الممتازة وكلما تأصلت فى النفس هذه الروح أورثتها عادة الامانة فى معاملة الناس. وبهذا يصبح الفرد مثالا حيا للتفوق الخلقي^(٢) وفريضة الزكاة لاتعين على ايجاد التقسيم الصحيح للثروة فقط ولكنها تعمل كذلك على رفع شأن الشعب كله^(٣)).

ان للفرد المسلم الذى لاتوافر له فى سعيه الخاص الوسائل لمستوى فى المعيشة كاف للمحافظة على الصحة، والعناية به

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الاموال ص ٥٩٥

(٢) ميرزا محمد حسين: الاسلام والاشتراكية ترجمة د. عبد الرحمن أيوب المؤسسة المصرية العامة للتأليف القاهرة ص ١٦١ - ١٦٢.

(٣) مولاي محمد على: الاسلام والطعام العالمى الحديد ترجمة أحمد جوده السحار مكتبة مصر ص ٥٢.

وبأسرته فى الملبس والمسكن ، الحق قبل المجتمع فيما يحقق له الكفاية لهذا المستوى .

فتنص آية الزكاة على المسكين ، وهو الذى يسعى من أجل الرزق ، ولكن سعيه لا يغطى احتياجاته فى مستوى معيشته : له ولولاده ان كانت له أسرة .

وقصور سعيه عن الوفاء بحاجته يرجع ، اما الى سوء تدريبه على العمل أو الى ضعف فى امكانياته . أى لا يعود الى كسل وتواكل وانما هو يبذل قصارى جهده فى العمل ، ولكن رغم ذلك تتطلب معيشته مزيدا من النفقة . فهو عندئذ مسكين ، ويعطى من الزكاة ما يكفى حاجته .

وهذا الحق ليس للمسلمين فحسب ، ولكن لاهل الطوائف الاخرى . يحدثنا خالد بن الوليد فى كتاب بعث به الى أهل الحيرة فيقول (أيما شيخ ضعيف أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت عنه جزيته وعيل من بيت المال هو وعياله . ما أقام بدار الهجرة والاسلام) ان هذه الرعاية التى أشار إليها خالد بن الوليد هى ما نسميه فى هذا العصر باسم «الضمان الاجتماعى الذى تمنحه الدولة للزمنى والعاجزين وأصحاب الآفات . لقد سبق إليه الاسلام بأكثر من أربعة عشر قرنا .

التسوية بين الابناء فى المعاملة:

ان تسوية الابناء فى المعاملة من واجب الآباء ، ذلك لان التفرق فى المعاملة تولد الحقد والحسد فى النفوس وتزِيل المحبة والتعاطف فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين الآباء من جهة أخرى . يقول

الرسول الكريم: «اعدلوا بين أبناءكم فى النحل — أى العطية والهبة — كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف» (الطبرانى).

وقد تبين فى عرض القرآن لقصة يوسف عليه السلام، ان الذى أشعل حقد أخوته عليه وأدى الى تأمرهم علي، ما بدا لهم من ايثار أبيهم ليوسف واختصاصه بألوان من القرب والكرم فكان من الشرما كان.

﴿اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة، ان أبانا لفى ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ (يوسف : ٨ — ٩).

فالايثار وعدم العدالة فى المعاملة بالاضافة الى إزالة المحبة من بين الافراد والسعادة من البيت فإنه يخلق جوا مشحونا قائما فى سماء البيت ونتيجة لذلك تتحول الحياة فيه الى جحيم لا يطاق.

وما أحسن ما قالته فاطمة الانمارية عندما سئلت أى أولادك أحب إليك؟

فأجابت : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

هذه هى الأم التى تمثل الأمومة المثالية العادلة بين أبنائها . وهذه هى المعاملة التى يرضى عنها الصغير والكبير والتى أمر بها الاسلام . وقد أمر بذلك لتزداد المحبة والترابط بين أفراد البيت جميعا وليعيشوا فى عشهم متحابين متكاتفين متعلقين بعضهم ببعض كتعلق المحب بالمحوبة^(١).

ان الاسلام ينكر الجفاء والتجهم مع الاولاد، ويفترض أن تعمهم الرحمة ويحيطهم الحنو والشفقة .

(١) مقدار بالجن : البيت الاسلامى . دار الهلال القاهرة ١٩٧٢ . ص ٩٤ — ٩٥ .

قال أبو هريرة: قبل رسول الله ﷺ — الحسن بن علي وعنده
الاقرع بن حابس. فقال الاقرع: ان لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا
منهم فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: من لا يرحم لا يرحم^(١).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الاعراب
على رسول الله ﷺ — فقالوا: تقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم. قالوا:
والله لكنا لا نقبل. فقال: أو أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة
(الشيخان).

وهكذا يربي الطفل على الرحمة يأخذ منها في الصغر ليعطيها في
الكبر حين يكون واليا أو والدا.

وإذا وجد في المجتمع الاسلامي آباء ينظرون الى البنات نظرة
تميز عن الولد فالسبب في هذا يعود الى البيئة التي رضعوا منها أعرافا
فاسدة، وتقاليد اجتماعية بغیضة يتصل عهدها بالعصر الجاهلي الذي
قال الله تعالى فيه ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو
كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم
يدسه في التراب، ألاساء ما يحكمون﴾ (النحل: ٥٨ — ٥٩).

والسبب في ذلك أيضا يعود الى ضعف الايمان. وزعزعة
اليقين، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من اناث، لم يملكوهم
ولانسائهم ولا من في الارض جميعا أن يغيروا من خلق الله شيئا. يقول
الله تعالى ﴿الله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء. يهب لمن يشاء
اناثا، ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرا وانا اناء ويجعل من
يشاء عقيما انه عليم قدير﴾ (الشورى: ٤٩ — ٥٠).

(١) الغزالي: احياء علوم الدين ج ٨ ص ١٤٢٨.

ولكى يقتلع الرسول الكريم من بعض النفوس جذور الجاهلية ،
 خص البنات بالذكر وأمر الآباء بحسن صحبتهن ، والعناية بهن ، والقيام
 على أمورهن ، ليستأهلوا دخول الجنة . روى عن أنس بن مالك رضى
 الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم
 القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه) أى كان قريبا من الرسول فى
 منزلته .

وكان العرب يأنفون أن يداعب الرجل وليدته ، أو يسمح لها أن
 تمزح بين يديه وقد نقض الرسول الكريم تلك السنة السيئة ، فلم يكن
 يضمن بوقته الاعز أن يداعب فيه الولائد من بناته أو بنات صحابته . فى
 رواية ابن سعد عن أبى قتادة قال : «بينما نحن على باب رسول الله ﷺ
 اذ خرج رسول الله ﷺ يحمل أمانة بنت أبى العاصى — وأمها زينب
 بنت الرسول الكريم — وهى صبية . قال : فصلى رسول الله ﷺ وهى
 على عاتقه يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقه اذا قام حتى قضى
 صلاته يفعل ذلك بها» .

وكانت أمانة من أحب الناس الى الرسول الكريم وفى حديث
 ابن سعد أنه ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع فقال لاعطينها
 أحبكن إلى . فقلن : يدفعها الى ابنة أبى بكر فدعا بابنة أبى العاصى
 فعقدتها بيدها . وحدثت أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت
 رسول الله ﷺ مع أبى وعلى قميص أصفر ، قال رسول الله ﷺ (سنه
 سنه) — وهى بالحبيشية حسنة — قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة
 فانتهرنى أبى ، قال رسول الله ﷺ : دعها . ثم قال الرسول : أبلى
 واخلقى . فعمرت بعد ذلك ما شاء الله أن تعمر .

وفى حديث عنايته ﷺ بهن، وأمره ببذل الرحمة واسداء المعونة
لهن، ما حدثت عائشة أم المؤمنين قالت: جئتني امرأة معها ابنتان
تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة. فأعطيتها فقسمتها بين
ابنتيها، ثم قامت فخرجت. فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: «من
ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار».

تربية الطفل

تعنى كلمة تربية التعليم أو توفير الاسباب للحصول على المعرفة أو للحصول على شخصية وأخلاق طيبة . وعلى الوسيلة التى يستطيع بها الانسان أن يعيش حياة أفضل .

وبناء على هذا التعريف فالتربية لا تعنى التعليم فى حد ذاته ، وانما هى تعنيه بالقدر الذى يؤدى الى تنمية الشخصية . ومن هنا فإن التربية لا تقتصر على الانسان بل انها تتعداه الى الحيوان أيضا (كما ورد فى قاموس أكسفورد ص ٣٨١) كما يمكن أيضا أن تتعداه الى النبات .

وترجع كلمة «التربية» فى أصلها اللغوى العربى الى الفعل «ربا» يربو أى نما وزاد وفى القرآن المجيد ﴿وترى الارض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (الحج : ٥) .

أى نمت وزادت لما يتدخلها من الماء والنبات .

وتقول رباه بمعنى نشأة ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية وفى القرآن الكريم قال : ﴿ألم نربك فىنا وليداً ولبثت فىنا من عمرك سنين﴾ (الشعراء : ١٨) .

وتبدأ التربية عمليا وعلميا — قبل فترة المهد فرحم الام هو فى حقيقة أمره أول مؤسسة تربوية لانه «البيئة» الاولى التى ينشأ فيها الانسان وعلى قدر صلاحيتها يكون صلاح الوليد ، وعلى قدر فسادها يكون اختلاله ومن ثم كان حرص الاسلام على العناية بالاطفال منذ

ميلادهم، بل لقد شملت عنايته مرحلة ما قبل الميلاد، ومن هنا كانت جريمة الزنا جريمة شنعاء بل ان الرجل والمرأة كليهما مأمور بغض النظر والاحتشام والمرأة خاصة عليها الكثير من حقائق ومظاهر العفة والصون والاحتشام.

قال الله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم. ان الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها، ولا يضربن بخمرهن على وجوههن ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنی إخوانهن أو بنی أخواتهن أو نسائهن أو ما ملکت ایمانهن أو التابعین غیر أولى الارية من الرجال أو الطفل الذین لم یظهروا على عورات النساء. ولا یضربن بأرجلهن لیعلم ما یخفین من زینتهن، وتوبوا الى الله جميعا أیها المؤمنون لعلکم تفلحون﴾ (النور: ٣٠ — ١٣).

ومرحلة الطفولة المبكرة مرحلة تربوية هامة فيها يتنقل الطفل من بيئة جسم أمه الى بيئة العالم الخارجی. كامل التكوين من الناحية الجسمية بمعنى أن أجهزة جسمه كاملة النمو وعلى استعداد للعمل^(١).

وتمثل هذه المرحلة جانبا كبيرا من اهتمام مفكری التربية فی كل عصر وذلك لان الاهتمام بها يعتبر من أهم المعايير التي يقاس بها المجتمع وتطوره، وهو فی الواقع مستقبل الامة كلها، كما أن اعداد الاطفال وتربيتهم هو اعداد لمواجهة التحديات الحضارية التي تفرضها حتمية التطور^(٢).

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي الطبعة التاسعة مكتبة النهضة ١٩٦٦، ص ١٠٩.

(٢) حامد عبد العزيز: دراسات فی سيكولوجية النمو الطبعة الثالثة عالم الكتب ١٩٧٤، ص ١٣.

كما ان القوى التربوية المختلفة تؤثر في شخصية الطفل في هذه المرحلة، أكثر من تأثيرها في كل مراحل نموه الأخرى . ولهذا حرص الاسلام على أن يؤدب الاطفال ويعودوا الاشياء الجميلة وعلى تربيتهم تربية فاضلة «ليكونوا ان قبلت طبائعهم منفعة التأديب والتعاهد صاروا أخيارا فضلاء»^(١).

وتستهدف التربية الاسلامية تحقيق غرضين . .

١— الغرض الدينى ، ويقصد منه العمل للأخرة ، حتى يلقي العبد ربه . وقد أدى ما عليه من حقوق وواجبات .

٢— والغرض العملى الدينى ، وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعى ، أو بالاعداد للحياة ، ويؤيده المذهب البرجماسى الذى ينسب اليه كل من «جون ديوى» «ووليم هيركليانوك» وينزع البرجماسيون فى تربية الطفل نزعة عملية نفعية . فالتربية الاسلامية تقوم على أساس تحقيق غرضين وهما الغرض الدينى والغرض الديوى . وبهذا خالفت التربية الرومانية التى كانت تهدف الى التعليمين الحربى والبلاغى ، وهما من الاغراض العملية ، كذلك خالفت التربية الاسبرطية التى تعد الاطفال للحياة الحربية فحسب ، والتربية الاثينية ، التى كانت تعمل على تعليم الشباب العلوم العقلية والفلسفية ، وهذه الاغراض كلها دنيوية محضة . ويمكن تفسير اتجاه التربية الاسلامية الى الغرضين الدينى والعلمى بأنها كانت مستوحاة من السياسة الحكيمة ، التى رسمها القرآن الكريمة فى الآية الشريفة : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾ (القصص : ٧٧) .

(١) ابن الجزار: سيامة الصبيان وتدريبهم ص ٣٣

فالتربية الاسلامية عنت بالنواحي الدينية والخلقية والروحية فى التربية والتعليم ولم تهمل العناية بالنواحي الدنيوية فى معاهدها ومناهجها ويتضح هذا الغرض من كتاب عمر بن الخطاب الى الولاة (أما بعد: فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار فى المثل، وما حسن من الشعر).

فعمر يأمربتعليم الاولاد السباحة والعلوم والفروسية والرياضة البدنية، والمهارة الحربية، والعناية باللغة العربية، ورواية الامثال السائرة، والشعر الحسن، وان أثر علماء الاسلام فى النهضة العلمية لا يستطيع أن ينكره إلا كل مكابر متعصب. قال «مونرو» فى كتابه: (تاريخ التربية) (فى الطب والجراحة وعلم العقاقير والفلك وعلم وظائف الاعضاء وصل المسلمون الى اختراعات هامة، واخترعوا ساعة البندول، وعلموا أوربا استعمال البوصلة والبارود).

ويقول جوستاف لوبون فى كتابه «حضارة الاسلام» ان العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ويقول فيلسوف آخر: «ان العلوم التى تلقاها العرب من اليونانيين وغيرهم — وكانت ميتة بين رفات الدفاتر مقبورة بين جدران المقابر، أو مخزونة فى بعض الرؤوس كأنها أحجار ثمينة فى بعض الخزائن لاحظ للانسانية منها سوى النظر إليها — صارت عند العرب حياة الآداب وغذاء الارواح وروح الثروة، وقوام الصحة ومهمازا للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذى أعدت له وليس فى الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل فى اخراج أوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم، وفى تعليمها كيف تنظر، وكيف تفكر، وفى معرفتها أن التجربة

والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم — انما هو للمسلمين وآدابهم، ومعارفهم التي حملوها إليهم. وأدخلوها من أسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا عليهم».

كان التاريخ قد سطر عداء العالم القديم للعلم. جاء في دائرة معارف لاروس، (أما هم — يعنى الاقدمين — فيعتبرون أن العلم هو الشجرة الملعونة التي تقتل بأثمارها بنى آدم). وقد جاء الاسلام وحرر العلم من القيود التي كان يرسف بها، وأعلن أنه يجب أن يكون محبوبا مطلوبا، لا عدوا مطرودا. فتح الاسلام للعقول أبواب العلوم بأسرها. والمعارف بجملتها. قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣).

وقال جل شأنه: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨). فالتربية الاسلامية تربية مثالية حيث يدرس الطالب العلم لذات العلم، والادب لذات الادب، والفن لذات الفن، لان فى هذا لذة علمية أو أدبية أو فنية.

قال حاجى خليفة فى «كشف الظنون»: (والعلم ألد الاشياء وأفضلها) وقال فى موضع آخر ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق فى هذه الدنيا، ولكن الغرض الوصول الى الحقيقة، وتقوية الخلق^(١). وهوى معنى الوصول الى الحقيقة العلمية والخلق الكامل.

فالتربية الاسلامية كانت مثالية تطالب بالعلم لما فيه من لذة روحية للوصول إلى الحقائق العلمية والاخلاق النبيلة. وان من ينظر الى ما خلفه المسلمون من تراث علمى وأدبى ودينى وفنى يجد أمامه ثروة خالدة لانظير لها فى العالم كله، تدل على شدة تعلقهم بالعلم لذاته،

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون: ص ١٦

والادب لذاته والفن لذاته ، وليس معنى هذا أنهم أهملوا التعليم لكسب الرزق كلية ، فلم تهمل التربية الاسلامية اعداد كل فرد لكسب رزقه فى الحياة بدراسة بعض المهن والفنون والصناعات والتدريب عليها ويظهر هذا واضحا فى قول ابن سينا (اذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراه أن تكون صناعته فيوجه لطريقه ويعد اعدادا مهنيا أو فنيا أو صناعيا حتى يجيد مهنة من المهن أو فنا من الفنون أو صناعة من الصناعات حتى يتمكن من كسب رزقه ويحيا حياة شريفة مع المحافظة على الناحية الروحية والدينية .

فالتربية الاسلامية كانت خلقية غالبا ولكنها لم تهمل اعداد الفرد للحياة ، وكسب العيش والرزق . . ولم تنس تربية الجسم والعقل ، والقلب والوجدان والادارة والذوق واليد واللسان والشخصية^(١) .

التربية الدينية :

فى الطفولة يجب بذر الدين الصحيح وتأكيد أساسه فى نفوس الاطفال بقدر ما يطيقون .

ولابد من التدريب على شعائر الدين واعطاء القدوة فى ذلك .

يقول الرسول : (مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع) (الطبرانى) .

ان التربية الدينية بما تغرسه فى النفوس من عقائد راسخة وتطبعه فيها من ايمان صحيح يحملها على التزام طاعة الله بامثال أوامره

(١) محمد عطية الأبراشي : التربية الاسلامية وفلاسفتها دار الفكر العربى . ص ٢٤ .

واجتناب نواهيه، وعلى التحلى بمكارم الاخلاق، لارياء ولا نفاقا، ولا عجبيا ولا خيلاء، بل ابتغاء رضوان الله، وعلى مراقبة الله وحده، وخشيته فى السروفى العلن، هذه التربية هى الحصن الحصين الذى يقى البشرية شرور أنفسها وهى التى تهذب النفوس، وتكبح جماحها وهى التى تنشربين الناس احترام الحقوق، وحب الخير، لاعن خوف ورهبة، ولكن عن طاعة ورغبة، وهى مصدر السعادة فى الدنيا والآخرة واذا فسد أمر هذه التربية، وضعف الوازع الدينى أومات، فالويل للناس، وعلى استقامة أمورهم العفاء ولن يغنى غناءها شىء من الموصفات مهما كان سلطانها ولا أى قانون وضعى، وأن احكم وضعه واشتد القائمون على تنفيذه.

واذا كانت التربية الدينية الصحيحة فى ذاتها من أول ما تمس إليها حاجة البشر، فإنها اليوم فى طليعة الضروريات التى لا يصح بحال أن يتهاون فى أمرها. ومن الواجب أن تنال من العناية فى حزم واسراع ما يليق بمكانتها، وما يتفق ومقدار الحاجة إليها. فالعالم قد أصبح مغمورا بتيارات من المادة والمقاصد المادية المحضة، وجرت فى جنباته أمواج من الاباحيات والوجوديات مختلف ألوانها، وانتشرت فى أجوائه ما يغرى بالشهوات والرذائل اشكالا وألوانا، ولكل لون منها دعائه وسدنته، والانسان لن ينال مناعته ازاء هذه الاوبئة الوبيلة الاعن طريق التربية الدينية، وغرس الوازع الدينى فى النفوس، وتقويته حتى يصبح صخرة متينة تحطم عندها هذه الشرور.

والمدرسة الاولى لهذه التربية هى الاسرة. ففيها وحدها يوضع حجر الاساس وفيها وحدها يشيد هذا البنيان، حيث تكون الطفولة

عجينة طيبة تتقبل ما يعطى لها من الصور والاشكال ، فضائل كانت أو رزائل ، وحيث تكون النفوس أرضا براحا تثبت فيها البذور التى تبذر فيها ، بذور صلاح أو بذور فساد ، حيث تكون القلوب أوانى فارغه اذا ملئت بشىء احتوته وأمسكته ، خيرا كان أو شرا ، ومن شب على شىء شاب عليه . والمسؤول الاول عن هذه التربية هو رب الاسرة ، لذلك فرض الاسلام على كل مسلم أن يعنى بتربية أسرته التربية الدينية الصحيحة . وأن ينشر فيها تعاليم الدين وفضائله بالقول والعمل . فإن فرط فى شىء من ذلك حل عليه غضب ربه ، واستحق نقمته ، فقد ولاه أمر هذه الاسرة ، وتهده أن يضيعه إذا هوضيعها ، وليس وراء ضياعها فى دينها ضياع ، وقد استرعاه هذه الاسرة فلم يحطها بعنايته ونصيحته فى أغلى ما يكفل سعادتها — ورسول الله ﷺ يقول : (من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها) (رواه البخارى ومسلم) .

وقال : (مروا أولادكم بامثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار) (رواه ابن جرير) .

وأول ما يجب على رب الاسرة نحو أسرته فى هذا الصدد أن يبدأ بنفسه ، فيصلحها بالمواظبة على الفرائض واجتناب المحارم ، والتخلق بأخلاق الدين ، والتأدب بأدابه ، ليكون لهم فيه أحسن القدوة ، وليربى فى نفوسهم بالطريقة العملية حب الاعمال الصالحة ، والرغبة الصادقة فى التحلى بها .

فهو رب الأسرة وعائلها، فله فى نفوسهم المكانة الاولى، وهو موضع جبههم واعزازهم، ومعقد اعتزازهم وفخرهم واعجابهم، فهو قدوتهم المثلى، ومثلهم الاعلى، فإن هو أخذ نفسه بهذه الطريقة الصالحة، فقد تظاهرت عوامل الهداية والتهديب وتساندت، فيسيرون أولا على سنته اقتداء به، ثم لا يلبثون الا يسيرا حتى تفقه نفوسهم هذه الصالحات فيؤدوها عن عقيدة خالصة وايمان كامل. أما اذا نصح وأرشد. وأمر ونهى، ثم هو فى الوقت نفسه يجتنب ما يأمرهم به ويخالفهم الى ما ينهاهم عنه، كانت لهم فيه أسوأ قدوة، واقتلعت أعماله ما غرست أقواله وجعلت نصائحه وارشاداته هباء منثورا.

والاطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم ليسوا بمكلفين ولكن عليه أن يعلمهم فرائض دينهم، وما يحتاجون إليه فى آدائها، وعليه أن يؤدبهم بأداب الدين. ومكارم الاخلاق، وعليه أن يعودههم أداء الطاعات لتألفها نفوسهم. واجتناب المعاصى ليألفوا البعد عنها، ولا يحل له أن يتركهم فيتناولون من الطعام والشراب ما لا يحل لهم تناوله بعد البلوغ. وهذا أيضا هو حكم اللباس يأخذهم فى هذا كله باللين واللفظ، ثم بالموعظة الحسنة، ثم بالشدة والعنف، ثم بالضرب^(١).

التربية الخلقية :

نقصد بالتربية الخلقية مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التى يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعلقه الى أن يصبح مكلفا الى أن يتدرج شابا الى أن يخوض خضم الحياة.

(١) محمد أحمد فرج السنهورى : الأسرة فى التشريع الإسلامى ص ٥٤ — ٥٦ .

ومما لاشك فيه ، أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ ، والتنشئة الدينية الصحيحة^(١) .
والتربية الخلقية هي روح التربية الاسلامية ، والوصول الى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية ، وليس معنى هذا أن نقلل من العناية بالتربية الجسمية أو العقلية أو العلمية أو العملية ، بل معناه أن نعنى بالتربية الخلقية ، كما نعنى بالانواع الاخرى من التربية ، فالطفل فى حاجة الى قوة فى الجسم والعقل والعلم والعمل ، وتربية الخلق والوجدان والادارة والذوق والشخصية .

وقد اتفق علماء التربية الاسلامية على أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات ، وتعليمهم من المواد الدراسية ما لم يعلموا بل الغرض أن تهذب أخلاقهم وتربى أرواحهم . وتبث فيهم الفضيلة ، وتعودهم الآداب السامية وتعددهم لحياة كلها طهارة وإخلاص ، فالغرض الاول والاسمى من التربية الاسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح . وكل درس يجب أن يكون درس أخلاق . وكل معلم يجب أن يراعى الاخلاق الدينية قبل أى شىء آخر . والاخلاق الدينية هي الاخلاق المثالية الكاملة . والخلق النبيل عماد التربية فى الاسلام .

ويرى الغزالى (ان الغرض من التربية التقرب الى الله دون الرياسة . والمباهاة وألا يقصد المتعلم بالتعلم الرياسة والمال والجاه ، ومجارات السفهاء ، ومباهاة الاقران ، وهو لا يخرج عن التربية الخلقية) .
ومن الممكن أن نلخص الغرض الاساسى من التربية الاسلامية

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الاولاد فى الاسلام ج١ ، ص ١٧٧ .

فى كلمة واحدة هى الفضيلة^(١).

يقول الرسول ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (من حديث أبى هريرة).

روى الترمذى عن أيوب بن موسى عن أبیه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: (ما نحل — أعطى — والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن).

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم).

والدين بلا أخلاق لاثمرة له، والأخلاق بلا دين لاجذور لها. وقد قال كونفشيوس الفيلسوف الصينى الأخلاقى الكبير (ان تربية النفس والتزام المقاييس الخلقية بين المرء ونفسه هما الجذور التى ثبتت السلوك الاجتماعى السليم وهكذا نرى أن الدين حين يعنى بالتربية الخلقية يثبت أنه العامل الحاسم الذى يؤثر فى الحياة الاجتماعية).

ومن الامور المادية الضرورية للنمو الاخلاقى استعمال الاطعمة والاشربة المناسبة. وقد كشف البحث العلمى الحديث عن العلاقة الجوهرية بين أخلاق الناس وأطعمتهم. والروح ليست منفصلة عن الجسد ولكنها ترتبط به ارتباطا جوهريا. والمبدأ القائل بأنهما معا ينموان من نفس البذرة التى تودع فى مكان من جسم الانسان عيته إرادة الله، هذا المبدأ يقتضى أن الطريقة التى تشبع بها الرغبات

(١) محمد عطية الإبراشى: التربية الاسلامية وفلاسفتها ص ٢٢.

الجسدية تؤثر بدورها فى نمو الروح . ولذلك يؤكد الاسلام ضرورة تحرى الاطعمة والاشربة النظيفة ، وتجنب الاسراف والمغالة فيها ، ولما كان بعض الاطعمة والاشربة ضارا بالبدن والروح دون شك ومؤديا الى ضراوة الطباع والعادات فقد حرمها الاسلام . يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (المائدة : ٩٠) .

وفصل القرآن الاطعمة المحرمة فى قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَ فِسْقٌ ﴾ (المائدة : ٣) .

وتشمل المحرمات كل ما يفسد الجسد أو يؤذيه وبالتالي كل ما يصل بفساده الى الروح . كما منع الاسلام منعا باتا تقديم الضحايا للوثان بنفس الروح التى منع بها أكل اللحوم القذرة الممتنة . أما الاطعمة المباحة فقد وضع قاعدة واضحة تبينها . فقال القرآن الكريم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ ، قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة : ٤) .

ولعل سر تفوق القوانين السلوكية القرآنية يكمن فيما يفرضه من قيود على رغباتنا وشهواتنا وفى تنظيم استهلاك الاغذية بما يمكننا من تحقيق حياة أخلاقية مثالية ومن ثم فهو لا يوافق على المذهب «الابيقورى» (كل واشرب واستمتع) ويقرر بديلا عنه مبدأ تعبر عنه الآيات :

— ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الاعراف : ٣١).

— ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة : ١٦٨).

— ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسْقٌ﴾ (الانعام : ١٢١).

ويعمل الاسلام على اصلاح طبيعة الفرد وتهذيبه والتخلص من ضراوة طباعة، وإذا اتجهت نفس المرء الى السلام والمحبة فإنه لاشك نافر من النزاع والخلاف مع سواه ويرغب الله المسلمين في فضيلة «المسالمة» فيقول :

— ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الانفال : ١).

— ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ مَرُّوا كَرَامًا﴾ (الفرقان : ٧٢).

— ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان : ٦٣).

وهذا التقدير الكبير الذى يخص به الاسلام فضيلة المسالمة كفيل بتهدة نزوة الغضب فى نفس المسلم ازاء عدوان الغير.

كذلك يحرم الاسلام الكبير الذى قد يثير فى نفوس الآخرين الغضب ويعكر صفو العلاقات الاجتماعية .

— ﴿يَا بَنِي آدَمَ اقُمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تَصْعَرَ خَدُكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ

فى الارض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك
واغضض من صوتك ، ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ﴿ لقمان : ١٧ — ١٩ ﴾ .

وحرص الاسلام على العفو عن أساء للمسلم أو ألحق به الضرر
واعتبره من أمهات الفضائل لانه يقوى دعائم العلاقات الاجتماعية .
وقد ذكر الاسلام صفات المؤمن الحق فذكر من بينها العفوفى
قوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ (آل عمران :
١٣٤) .

والصدق من الصفات الخلقية التى يحرص الاسلام على أن
يتحلى بها المسلم ، ولذلك اهتم القرآن بالحديث عن الصدق والدعوة
إليه .

— ﴿ الذين يقولون ربنا اننا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار .
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ﴾ (آل
عمران : ١٦ — ١٧) .

— ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (التوبة : ١١٩) .
— ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو
يتوب عليهم ان الله كان عفورا رحيمًا ﴾ (الاحزاب : ٢٤) .

— ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله
لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ (الاحزاب : ٣٥) .

وحمل القرآن حملة شديدة على الكذب والكاذبين . قال تعالى :
﴿ فَأَعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ
مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة : ٧٧) .

﴿ وَإِنْ يَكَازِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ
الَّذِي يَعِدْكُمْ ، إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر : ٢٨) .
في هذه الآيات حملة شديدة وقارعة على الكذب والكاذبين ،
ولعنة عليهم وانذارا لهم بأشد أنواع العقوبات والسخط الرباني في
الدنيا والآخرة . كما فيها تنويه بالصدق والصادقين واشادة بهم
وتطمينهم برضوان الله ، وحسن ثبوته ، وتكريمه في الدنيا والآخرة
أيضا .

وقد عد الاسلام الكذب من خصائل النفاق . روى البخارى
ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ
قال :

(أربع من كن فيه منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كان
فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان . وإذا حدث كذب ،
وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) .

والكذب خيانة . روى أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمى
رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كبرت خيانة أن
تحدث أخاك حديثا هولاك مصدق ، وأنت به كاذب) .

وإذا كان هذا شأن الكذب والكذابين فإن على الآباء والامهات أن
ينفروا أبناءهم منه ، وينهوه عن عواقبه ويكشفوا لهم
عن مضاره وأخطاره حتى لا يقعوا في حباله ، ويتعثروا في أحواله .

التربية العقلية:

نقصد بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما نافع من العلوم الشرعية والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج الولد فكريا ويتكون علميا وثقافيا.

وقد حمل الاسلام الآباء والمربين مسؤولية تعليم الاولاد، وتنشئتهم على التزود بالعلم والثقافة. وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب، والمعرفة المجردة. وبهذا تتفتح المواهب، ويبرز النبوغ ومن المعلوم تاريخيا أن أول آية نزلت على الرسول الكريم هذه الآيات:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١ - ٥).

يأمر بالقراءة. . والقراءة طريق العلم والمعرفة، ثم يرشد الى الاستعانة عليها باسم «الرب» مفيض التربية ووسائلها على جميع الخلق، فيشعر الانسان بعزة شأنها ورفعة قدرها، وانها من الشؤون العظمى، ذات البال والخطر، ثم يذكر خلقه وتكوينه في هذا المقام ويردفه بنعمة العلم ﴿الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾.

وبذلك يسوى بين نعمة الخلق والايجاد، ونعمة العلم، ويكون ذلك احياء بأن المخلوق الجاهل لا اعتداد بوجوده في هذه الحياة. وتنويه بشأن القلم ومكانته في العلم والمعرفة، يقسم به الله تعالى في معرض تبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام، من أفدح التهم الباطلة التي ألصقها القوم به عليه السلام، وهي تهمة الجنون: ﴿ن، والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (القلم: ١ - ٢).

وكما يطلب القراءة على الاطلاق دون تقييد بمقرر مخصص ،
 يطلب العلم والنظر على الاطلاق ، دون تقييد بمعلوم مخصص . أو
 منظور مخصص ﴿ قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾
 (الزمر: ٩) .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ
 قال : (. . .) ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا
 الى الجنة) .

وروى الترمذى عن أبى امامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ
 قال : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم . . . ان الله
 وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها ، وحتى
 الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
 (اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم
 ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوله) .

ويرشدنا هذا الاطلاق الى أن العلم فى نظر الاسلام ليس خاصا
 بعلم الشرائع والاحكام من حلال وحرام ، وانما العلم فى نظره هو ادراك
 يفيد الانسان توفيقا فى القيام بمهمته العظمى التى ألقىت على كاهله
 منذ قدر خلقه ، وجعل خليفة فى الارض وهى عمارتها ، واستخراج
 كنوزها ، واطهار أسرار الله فيها .

فإدراك ما يصلح به النبات وينمو ويثمر ، وما تستنبت به الارض
 وتحيا ، علم وادراك ما يصلح الحيوان . ويستمر به نسله ، وتتصل قوته
 علم .

وإدراك الطرق المشروعة التي تحصل بها الأموال ، والتي تنظم بها
أمرها ، ومصارفها علم .

وإدراك موارد الصناعة على اختلاف أنواعها وكيفياتها وتوزيعها علم .
وإدراك الأمراض وعالمها وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها علم .
وإدراك ما تعرفه الأمم من وسائل الدفاع والهجوم ، حفاظا
للاوطان ودفعاً للعدوان علم .

وقد جاء الإحياء بهذا كله واضحاً جلياً في القرآن الكريم وبه كان
العلم — بمعناه الشامل — العنصر الأول من عناصر الحياة في نظر
الإسلام .

وقد أدرك المسلمون الأولون إحياء القرآن في كل ذلك ، فأدركوا
قيمة العلم ومنزلته وضرورته في سعادة الأمم والأفراد : كانوا أمة أمية لا
تقرأ ولا تكتب فجدوا في محو أميتهم بكل الوسائل حتى أطلقوا سراح
الأسير إذا هو علم عدداً من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وأطلقوا
لأنفسهم سراح النظر في الكائنات ، فأدركوا منها ما يسعدهم في
الحياة ، ويجعلهم أئمة يهدون بأمر الله ^(١) .

والإسلام يجعل التعليم إجبارياً وإلزامياً .

روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال
رسول الله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ولفظ المسلم في
الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء .

وروى الطبراني في الكبير عن علقمة عن أبيه عن جده . قال :
خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأنشأ على طوائف من المسلمين خيراً
ثم قال : ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ،

(١) محمود شلتوت : مهج القرآن في بناء المجتمع ص ٦٣ — ٦٤ .

ولا يأمرونهم، ولا ينهاونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتعظون، والله ليعلمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وينهاونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتعظون، أو لا عاجلنهم العقوبة) وروى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كنتم علما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار).

فإذا كان طلب العلم — فى نظر الاسلام — فريضة على كل مسلم ومسلمة — وإذا كان المستنكف عن تعلم العلم أو تعليمه مهددا من قبل الشرع بالعقوبة وإذا كان من يكتم العلم النافع ملجما بلجام من نار يوم القيامة. أفلا يدل كل هذا على ان الاسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمه واجبا إلزاميا؟ وتتوجيهات الشارع نحو التكافل فى العلم والمعرفة ساح العلماء من الصحابة والتابعين منهم من ينشر العلم، ومنهم من يطلبه، ثم شاعت حركة الدرس فى المساجد ودور العلم التى كانت مفتوحة الابواب لكل متعلم.

وكان الاطفال من جميع الطبقات فى العالم الاسلامى يقصدون دور العلم ويلتحقون بها دون قيد ولا شرط وبمجاناة كاملة وكان يصرف لهم الغذاء والكساء، وكان طلاب المدارس العليا يتقاضون مرتبات لسد حاجاتهم ونفقاتهم الخاصة، وكان المنهج الدراسى غنيا بمختلف الفنون وطريقة التدريس فيها تعتمد على المناقشة الحرة.

وفى ظل تلك التوجيهات وتلك المعانى بلغت الجامعات الاسلامية مرتبة رفيعة لم يكن لها مثيل فى ذلك الحين فى بلاد العالم مما جعل الاوربيين ينظرون اليها على أنها الصورة المثالية للجامعات، وانها تمثل التعليم الجامعى الصحيح الذى ينبغى أن يتبع.

وقصد هذه الجامعات طلاب العلم من مختلف البلاد فى الدول الإسلامية ، كما قصدها أيضا طلاب العلم من أوروبا فقد كان الكثير منهم يقصد مدينة قرطبة الإسلامية ليلتحقوا بحلقات الدرس فى معاهدها فى مختلف المواد . كما كان الأزهر محط رجال الدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

والى جوار المعاهد والجامعات ودور العلم كانت المكتبات العامة تخرّب نفائس الكتب فى مختلف الفنون والعلوم غير مقتصرة على كتب العلوم الدينية ، وإنما شاملة لكل نواحي الثقافة والمعرفة . وكانت المكتبات فى المساجد والمعاهد مليئة بالعديد من الكتب ، كما كانت فى متناول يد كل راغب فى الاطلاع .

ويجمع علماء الشريعة على أن العلم المطلوب فى الشرع
نوعان :

١ — ما هو فرض عين : أى كل ما يطلب تعلمه وجوبا من كل فرد مكلف ولا يعذر أحد فى الجهل به ، وهو ما يحتاج اليه الانسان فى إقامة دينه وقبول عمله عند الله تعالى ، واستقامة معاملته ومعاشرته للناس . ويدخل تحت ذلك كله تعلم أحكام العبادات . وتعلم أحكام المعاملات عمن يمارسها وكذا أهل الحرف .

٢ — ما هو فرض كفاية : وهو ما يحتاج إليه المجتمع من غير نظر الى شخص بذاته . كتعلم الصناعات التى يحتاج إليها الناس . وتعلم المهن التى لا بد للناس منها من خياطة وطب وفلك وصيدلة وغيرها على قدر ما يحتاجون إليه فإن لم يكن فيهم من يتعلم كانوا آثمين جميعا .

قال الغزالي في كتابه «احياء علوم الدين»: أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوم أمور الدنيا، كالطب، اذ هو ضرورى في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فإنه ضرورى في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها. وهذه هي العلوم التى لو خلا البلد ممن يقوم بها حرج (أثم) أهل البلد. واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات كالفلاحة والحياسة والسياسة بل والحجامة والخيطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم، وخرجوا (أثموا) بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله، وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله.

وقال ابن عابدين: وأما فرض الكفاية في العلم فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوم أمور الدنيا كالطب والحساب واللغة وأصول الصناعات — كالفلاحة، والحياسة «النسيج» والحجامة.

ويتبين من هذه النصوص أن القاعدة في العلوم التي هي فرض كفاية هي كل ما يحتاج إليه في شؤون المجتمع من تجارة وطب واقتصاد وهندسة وكيمياء وكهرباء وكذلك صناعة الاسلحة والذخائر وجميع أنواع الصناعات. وما اقتصرنا عليه من ذكر الحياكة والطب والفلاحة والحساب وإنما هو للتمثيل بالنسبة لما كانوا يحتاجون إليه في عصورهم. وقد جدت حاجات لعلوم كثيرة في عصرنا فتعتبر من فروض الكفاية بحيث يجب على الأمة أن يكون فيها من العلماء بتلك العلوم ما يكفي لحصول الأمة على ثمار تلك العلوم.

٣— العلم المندوب والمباح : وما عدا هذين النوعين من العلم فهو مندوب أو مباح كتعلم ما زاد عن الفرض العين في شؤون الدين ، أو تعلم ما قام به غيره من فروض الكفاية ، فإن ذلك مندوب . وكالتوسع في الثقافة في مختلف العلوم فإنه مباح ، فإذا اقترن به نية التقرب الى الله أو خدمة المجتمع فهو مندوب .

ومن الواجب التعليمى الذى يجب أن يحرص عليه المربون والمعلمون والآباء ، هو التركيز فى الدرجة الاولى على تعليم الاولاد وهم فى سن التمييز — تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وكل ما يحتاجون إليه من العلوم الشرعية ، وبعض القصائد الادبية ، وأمثال العرب .

روى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال : (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم . وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن . فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله) .

وانطلاقاً من هذا الامر النبوى حرص المسلمون فى كل العصور عبر التاريخ على تعليم أولادهم هذه العلوم الاساسية والمواد الضرورية .

وقد أوصى الغزالى فى «احياء علوم الدين» بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخيار ، وحكايات الابرار ، ثم بعض الاحكام الدينية ، والشعر الخالى من ذكر العشق وأهله .

وذكر ابن سينا فى كتاب «السياسة» آراء قيمة فى تربية الاولاد ونصح بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً

للتعليم . وفى الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ،
ويدرس قواعد الدين ، ثم يروى الشعر ، ويتدرب بالرجز ثم القصيدة ،
مما يعين فى التأدب والتهذيب وفيه بيان فضل الادب والحث على البر
وعمل المعروف وكل ما فيه من مكارم الاخلاق .

ويرى ابن سينا فضل التعليم الجمعى على الفردى لانه أدفع
لسأمة المؤدب وملل الطفل معا ، ولان اختلاط الصبى بأقرانه ادعى
الى انشراح عقله ، وتفتح فهمه بالمحادثة والمرافقة وما فى ذلك من
اشارة المحاكاة والمساجلة والمباراة . وما فيه من تحريك همهم ،
وابتعاث نشاطهم .

وقد نص على فضل التعليم الجمعى معظم رجال التربية قديما
وحديثا حيث يرون أن للتعليم الجمعى محاسن عديدة أهمها :
أولا: يحقق مبادئ الاقتصادى اذ يحتاج لاقل عدد من
المدرسين بعكس التعليم الفردى .

ثانيا : يربى فى التلاميذ روح المناقشة ويحملهم على الدخول
فى ميادين المناقشات العلمية .

ثالثا : ينفث فى الاطفال روح الجماعة ويساعد على تربية كل
فرد منهم تربية اجتماعية حقيقية .

رابعا : يوجد بين التلاميذ الالفة والمحبة كما أنه يعودهم على
النظام والتعاون .

ويرى ابن سينا بعد فراغ الصبى من المرحلة الاولى أن ينظر إلى
مايراه أن تكون صناعته ، فيوجه بحسب ذلك . فإن أريد به الكتابة مثلا

أضيف الى دراسة اللغة ودراسة الرسائل والخطب ومساجلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك ، وأن يعلم الحساب ويدخل به الديوان ويعنى بخطه ، وأن أريد به وجهة أخرى أخذ فيها .

ويرى أن على المؤدب فى هذه المرحلة أن ينظر الى استعداد الطالب وما يصلح له من الصناعات والاعمال فيوجهه بحسب ميوله واستعداداته وهو يضرب لنا الامثلة فى تباين الملكات واختلاف المواهب وأن الذى لا يعينه استعداده على صناعة من الصناعات أو علم من العلوم يتعذر توجيهه إليه مهما بذل فى سبيله من جهد وانفق من مال .

ان ما قصده ابن سينا هو ما نسميه اليوم بالتوجيه المهني والذي يهدف الى توجيه المتعلم الى المهنة التى تناسب امكانياته وتكون له فى ممارستها لذة حقيقية^(١) .

وتحدث ابن خلدون عن أهمية تحفيظ القرآن . وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم لانه شعار من شعائر الدين الذى يؤدي الى رسوخ الايمان ، وغرس الاخلاق الكريمة .

ان على المدرسة الاسلامية ان تجعل القرآن أساسا للتكوين العلمى واللغوى منذ المرحلة الاولى من مراحل التعليم ، لا لأن القرآن كتاب الاسلام الاول فحسب ، ولكن لأن القرآن هو العامل الاساسى فى التكوين اللغوى السليم كما هو الاساس فى قيام المعارف والثقافة من خلال رؤية اسلامية صحيحة . وهو فى الوقت نفسه العامل الرئيسى فى تكوين الشخصية الاسلامية المتميزة بقيمها ومبادئها .

(١) راتب السعود: الفكر التربوى عند ابن سينا . مجلة الوعى الاسلامى العدد ٢٥٣ محرم

من القواعد التى وضعها الاسلام فى تعليم الولد، البدء بتعليمه فى مراحل الطفولة الاولى حيث يكون الولد أصفى ذهنا. وأقوى ذاكرة، وأنشط تعليمًا.

ويؤكد علماء النفس والتربية أن الطفل الذى لا يلعب هو الطفل المعقد غير السوى. لذلك نرى أن التربية الاسلامية تحث على أن يعود الطفل على اللعب.

يقول الغزالى: «وينبغى أن يعود الطفل فى بعض النهار المشى والحركة، حتى لا يغلب عليه الكسل. وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يسترىح إليه من تعب المكتب، ومنع الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائما، يمت قلبه، ويبطل ذكائه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا^(١).

ويقول ابن مسكويه (وينبغى أن يؤذن للطفل فى بعض الاوقات أن يلعب لعبا جميلا إليه من تعب الأب، ولا يكون فى لعبه ألم ولا تعب شديد، فالرياضة تحفظ الصحة وتنقى الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتذكى النفس^(٢).

وإذا كان الاسلام قد أذن للفتاة أن تتعلم ما ينفعها فى أمر دينها ودنياها فيجب أن يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور، حتى يسلم للفتاة عرضها وشرفها، وحتى تكون دائما حسنة السمعة، كريمة الخلق كثيرة الاحترام.

(١) الغزالى: احياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣

(٢) ابن مسكويه: تهذيب الاخلاق ص ٣٠

وقد ذكر «القابس» فى رسالته عن التعليم : (ان من حسن النظر ألا يخلط بين الذكران والاناث) ولما سئل (ابن سحنون) عن التعليم المختلط ذكورا واناثا قال : (أكره أن يعلم الجوارى مع الغلمان لان ذلك فساد لهن).

وقد أثبتت مجموعة من الدراسات والابحاث الميدانية التى أجريت فى كل من ألمانيا الغربية وبريطانيا انخفاض مستوى ذكاء الطلاب فى المدارس المختلطة (بنين وبنات) واستمرار تدهور هذا المستوى . وعلى العكس من ذلك تبين أن مدارس الجنس الواحد يرتفع الذكاء بين طلابها .

ذكرت الدكتورة «كارلس شوستر» خبيرة التربية الالمانية أن توحيد نوع الجنس فى المدارس يؤدى الى اشتعال المنافسة بين التلاميذ وبعضهم البعض أو يبين التلميذات أما اختلاط الاثنى معا فيلغى هذا الدافع ، وأضافت أن الغيرة تشتعل بين أبناء الجنس الواحد عنها اذا اختلط أبناء الجنسين .

كما أكدت دراسة أجرتها النقابة القومية للمدرسين البريطانيين أن التعليم المختلط أدى الى انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحا وعمرهن أقل من ١٦ عاما . كما تبين أن استخدام الفتيات فى المدارس لحبوب منع الحمل تزايد كمحاولة للحد من الظاهرة دون علاجها واستئصال جذورها .

وأوضحت دراسة نقابة المدرسين البريطانيين تزايد معدل الجرائم الجنسية والاعتداء على الفتيات بنسب كبيرة . وقالت الدراسة أن هناك تلميذا مصابا بالايذ فى كل مدرسة كما أشارت الى السلوك العدوانى الذى يزداد عند فتيات المدارس المختلطة . وهناك دراسة أخرى أجراها

معهد أبحاث علم النفس الاجتماعي بيون أثبتت أن تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة لا يتمتعون بقدرات ابداعية وهم دائما محدودو المواهب قليلو الهوايات ، على العكس من ذلك تبرز محاولات الابداع واضحة بين تلاميذ مدارس الجنس الواحد . فنجد هوايات البنين واضحة فى الرسم والموسيقى ولعب كرة القدم . وكذا هوايات البنات . وقد أوضح بحث ميدانى أذاعته احدى قنوات التلفزيون البريطانى أن تلميذات وتلاميذ المدارس المختلطة يعجزون عن التعامل مع العالم الخارجى وأنهم انطوائيون يتباهم الخجل دائما ولا يحسنون اقامة علاقات اجتماعية مع أقرانهم^(١) .

العقوبة فى نظر علماء الاسلام :

الغرض من العقوبة فى التربية الاسلامية الارشاد والاصلاح لا الزجر والانتقام ، ولهذا حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الاقدام على معاقبته ، وشجعوه على أن يشترك بنفسه فى أن يصلح الخطأ اذا أخطأ وتناسوا غلطاته وهفواته بعد اصلاحها .

وان روح الرفق والعطف والشفقة تظهر بوضوح فى التربية الاسلامية عند معاقبة الطفل . فقد اشترطوا للعقوبة البدنية عدة شروط هى :
أولا : ألا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن .
ثانيا : ألا يزيد الضرب على ثلاثة أسواط (واعتقد أن المقصود بالاسواط هنا العصي لا الاسواط النوية) .

(١) مجلة الرابطة العدد ٢٧٤ لسنة ٢٦ جمادى الاولى ١٤٠٨ هـ

ثالثاً : أن يعطى الطفل الفرصة فى أن يتوب عما فعل ويصلح الخطأ دون الالتجاء الى ضربه والتشهير به .

ومن هنا يتضح بعد النظر فى التربية والشفقة والرأفة فى معاملة الطفل وأن روح العطف فى معاقبة الطفل لم يمنع من استعمال الحزم والشدة وأساليب القسوة معه لزجره اذا اقتضت الضرورة ذلك .

وقد عنى فلاسفة التربية الاسلامية بموضوع العقوبة عناية كبيرة سواء أكانت عقوبة معنوية أم كانت بدنية وأجمعوا على أن الوقاية خير من العلاج . ولهذا نادوا باتخاذ كل وسيلة لتأديب الاطفال وتهذيبهم فى الصغر حتى يعتادوا أحسن العادات فى الكبر فلا نحتاج الى أن نعاقبهم .

ويرى ابن سينا فى كتاب «السياسة» : أنه يجب البدء بتربية الطفل ، وتعويد الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة ، لان من الصعب أن يتخلص منها اذا اعتادها وتمكنت فى نفسه .

واذا اضطر المربي الى الالتجاء الى العقوبة وجب عليه أن يحتاط كل الحيلة ويتخذ الحكمة فى تحديدها . وقد نصح ألياقب المعاقب بالشدة والعنف فى البدء بل باللين واللفظ ويستعمل معه الترغيب تارة والتخويف تارة أخرى ، ويستخدم العبوس والتوبيخ والتأنيب إذا اقتضى الامر . وأحياناً يكون النصح والتشجيع أو المدح أجدى أثراً فى الاصلاح من التوبيخ والتأنيب . ومعنى هذا أنه يجب أن يعامل كل طفل المعاملة التى تناسبه ، وأن تدرس كل حالة على حدة ويعالج كل داء بما يصلح من الدواء .

واذا اضطر المربي الى معاقبة الطفل فإن ابن سينا يرى ألا يلجأ الى العقوبة إلا عند الضرورة ، ولا نلجأ الى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء لاحداث الاثر المطلوب فى الطفل .

ويرى ابن سينا : أن التربية الرقيقة الحانية كثيرا ما تفلح فى تربية الاطفال على استقامة ونظافة واستواء ، ولكن التربية التى تزيد فى الرقة واللفظ والحنو تضر ضررا بالغا لانها تنشىء كيانا ليس له قوام .

ويرى الغزالى أنه يجب على المربى أن يعرف نوع المرض وسن المريض فى حالة تأديب الاطفال وتهذيبهم ، لان المعلم فى نظره كالطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم وأمات قلوبهم . ومعنى هذا فى رأينا أن يعامل كل طفل المعاملة التى تلائمهم ويبحث عن الباعث الذى أدى الى الخطأ وعن سن المخطيء ويفرق بين الصغير والكبير فى التأديب والتهذيب . ويكون المربى كالطبيب الماهر الذى يفحص عن علة المرض ويشخص مرضه ويصف له العلاج الذى يناسبه .

وكان الغزالى ضد الاسراع فى معاقبة الطفل المخطيء فقد نادى باعطائه فرصة ليصلح خطأه بنفسه ، حتى يحترم نفسه ، ويشعر بالنتيجة ، ومدحه وتشجيعه اذا قام بأعمال حميدة تستحق المكافأة والتشجيع ، ولم يقل باللوم والزجر والتوبيخ لان التشجيع يدخل السرور على النفس فتشجع وتتقدم فى حين أن التوبيخ يؤدى الى الحزن والخوف وقلة الثقة بالنفس .

وكان ابن خلدون ضد استعمال الشدة والقسوة فى تربية الاطفال حيث قال :

(من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفوس فى انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمله على الخبث خوفا من انبساط

الايدي بالقهر عليه ، وعلى المكر والخديعة ولذلك صارت له هذه عادة
وخلقا وفسدت معانى الانسانية التى له) .

وقد أسهب ابن خلدون فى توضيح ما ينشأ من الاثر السيء بسبب
القهر واستعمال الشدة والعنف فقال : (ان من يعامل بالقهر يصبح
حملا على غيره ، اذ هو يصبح عاجزا عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوه
من الحماسة والحمية ، على حين يقعد عن اكتساب الفضائل والخلق
الجميل . وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى انسانيتها^(١) .

وقد صدق ابن خلدون فى رأيه ، فالقسوة والعنف مع الطفل
تعوده الجبن ، وتبعده عن الحماسة والشجاعة ، وتشعره بالظلم دائما .

وقد لخص ابن خلدون آراء فلاسفة التربية الاسلامية فى التربية
والعقوبة حينما اقتبس نصيحة هارون الرشيد لمؤدب ولده الامين ، وهو
أبو الحسن على بن حمزة الكسائى قال : (ياأحمر ، ان أمير المؤمنين قد
دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته
لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : اقرئه القرآن ، وعرفه
الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه الشعر ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه
وأمنعه الضحك إلا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا
دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك
ساعة إلا وأنت مغتنم فرصة ، تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتميت
ذهنه ، ولا تمنع فى مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما
استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة) .

تعطينا هذه الوثيقة صورة واضحة للمنهج المدرسى الذى كان

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٤ — ٤٩٥ .

معروفا فى عصر الرشيد ويتناول هذا المنهج تدريس القرآن الكريم والاحبار والتاريخ ورواية الشعر وتعلمه والنقد الادبى الذى يساعد المتعلم على تذوق الكلام الجيد وانشائه، كذلك يتناول التربية الخلقية .

ويلاحظ أنه رسم لتحقيقها بعض الاساليب العملية . ومن العجب أن تشير هذه الوثيقة الى ما نسميه اليوم النشاط المدرسى ، وهو ما يقوم به التلاميذ باشراف المدرس خارج الفصل ويدل على ذلك قول الرشيد (ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فرصة تفيده إياها) ومعنى ذلك أنه لابد أن يستغل الاوقات التى تكون بعد انتهاء الدروس فى الافادة وتقديم بعض الخبرات الجديدة ، ثم تشرط الوصية أن تكون المعلومات التى تقدم الى الطفل سهلة ملائمة لسنه واستعداده ، حتى لا يجد صعوبة فى فهمها ، فإن المادة الصعبة لا يفهمها الطفل ، وتؤدى الى حزنه ، وعندئذ يتبلد ذهنه .

وقد أقرت الوصية مبدأ اللين والسهولة فى أخذ الاطفال بما يناسبهم ، ولكنها فى الوقت نفسه أقرت مبدأ استخدام الحزم فى معاملة الاطفال ، فالملائمة ضرورية ولا بد منها ، ولكن ينبغى الاتصال الى حد التساهل الذى يطلق العنان للاطفال فيميلون الى الفراغ ويحبونه ، وبذلك ينصرفون عن العلم وتعليمه ، كذلك تقر الوصية فكرة العقوبة ، وتؤيدها من حيث المبدأ باعتبارها دافعا من دوافع التعلم ، غير أنها تجعل العقاب الشئ الاخير الذى يلجأ إليه المعلم بعد استنفاد جميع وسائل الاخذ باللين .

التربية الاجتماعية :

المقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الطفل منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة. تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، والشعور بالايمان العميق، ليظهر الطفل فى المجتمع على أفضل صورة من حسن التعامل والادب، والاتزان، والعقل الناضج، والتصرف الحكيم.

لهذا، فعلى الآباء والامهات أن يضعوا أمام أعينهم أن البيت أهم مدرسة لتطبيق المبادئ الاجتماعية وتطبيع الافراد تطبيعا اجتماعيا. وينبغى أن يعلموا ان الشريأتى الى المجتمع من البيت وكذلك الخير يأتى الى المجتمع من البيت وعليهم أن يجعلوا بيوتهم منبع خير لا منبع شر.

وأهم الحقوق الاجتماعية التى يجب أن نرشد الطفل إليها، وننشئه عليها، ونأمره بها، حتى يعتاد عليها ويقوم بآدائها خير قيام. . هى :

- ١ — حق الابوين .
- ٢ — حق الارحام .
- ٣ — حق الجار .
- ٤ — حق المعلم .
- ٥ — حق الصديق .
- ٦ — حق الكبير .

١ — حق الأبوين :

جاء التشريع الاسلامى فى هذا الباب بالهدى والنور والحكمة .
وقرر فيه حقوقا هى الاساس المتين فى بناء الاسرة واحكام أوأصرها .
ومن فيه من الآداب ما يسموبها الى أعلى المراتب الروحية ، ويشد من
أزرها برباط من الخلق القويم ، ويعينها على مواجهة الشدائد ،
ويكفل لها ما استطاع من السعادة فى هذا العالم الذى أغرقته المادة ،
وطغت فيه الاثرة ، وساده انكار الحقوق والتنكر لذوى المعروف .

فالله جل شأنه يقول فى كتابه المجيد : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ،
فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيراً . ربكم
أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾
(الاسراء : ٢٣ — ٢٥) .

ولقد تحدث القرآن الكريم عما نال الذى أبر والديه وأحسن
معاملتهما من الصفح والغفران من الله وقبول ما عمل من الاعمال
الصالحة . فقال تعالى : ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب
أورعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً
ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت إليك وإنى من المسلمين . أولئك
الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة
وعد الصدق الذى كانوا يوعدون﴾ (الاحقاف : ١٥ — ١٦) .

وقال عز من قائل ﴿ووصينا الانسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير. وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا. واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (لقمان: ١٤ — ١٥).

وقد أشارت الآية الكريمة إلى نقطة دقيقة وملحوظة هامة، وهي أن عدم الطاعة لا يستلزم قطع الصلة والخصومة، ولهذا قال تعالى: ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ حتى ولو كانا كافرين فإن عصيانهما لا يبطل الاحسان إليهما.

وروى البخاري (في الادب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (ما من مسلم له والدان مسلمان، يصبح إليهما محتسبا إلا فتح الله له بابين — يعني الجنة — وإن كان واحدا فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرضى الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه).

وروى أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة رضى الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك، فقال: هل لك أم؟ قال: نعم. قال: إلزمها فإن الجنة عند رجلها).

ومن البر الدعاء لهما بعد مماتهما واکرام صديقهما. روى البخاري (في الادب المفرد) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: ترفع للميت بعد موته درجته. فيقول: أي ربي أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك).

وروى أبو داود وابن ماجه عن مالك بن ربيعة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من بنى سلمة ، فقال : يا رسول الله هل بقى على من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال : نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما) .

ان على المربين أن يلقنوا الاولاد هذه الآداب السلوكية مع آبائهم وأمهاتهم وهى : ألا يمشوا أمامهم ، وألا ينادونهم بأسمائهم ، وألا يجلسوا قبلهم وألا يتضجروا من نصائحهم ، وألا يأكلوا من طعام ينظرون إليه ، وألا يرقوا مكانا عاليا فوقهم ، وألا يخالفوا أمرهم .

قال ﷺ : (ما برأياه من سدد إليه الطرف بالغضب) (مجمع الزوائد ج ٨) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أتى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ فقال له : يا هذا : من الذى معك؟ قال أبى . قال : فلا تمشى أمامه ، ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه ، ولا تستسبب له) (مجمع الزوائد : ج ٨) .

وهكذا نجد أن الاسلام قد وطد العلاقة بين الآباء والامهات والأبناء وجعلها صلة قوية ورابطة وثيقة وأضفى عليها القداسة الدينية .

٢- حق الأرحام :

الأرحام هم من يرتبط بهم الانسان بصلة القرابة والنسب ، وهم على الترتيب التالى : الآباء والأمهات ، والأجداد والجندات ، والأخوة والأخوات ، والأعمام والعمتات وأولاد الأخ ، وأولاد الأخت ، والأخوال

والخالات، ثم من يليهم من الأقرباء، الأقرب فالأقرب.

وهؤلاء سموا في الشرع أرحاما لسببين:

الأول: لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن. ففي الحديث القدسي الشريف (قال الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم. وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته)^(١). (رواه أبو داود).

الثاني: لانحدار القرابة من الاصل الذي يتنمى إليه الانسان، ولذلك أوصى الاسلام بهم، وفرض لهم الاحسان والصلة، حفظا لرابطة القرابة، وتجميعا لشملة الاسرة وتوسيعا لنطاقها.

وقد بين القرآن الكريم أن قطع صلاتهم من نقض العهد والفساد في الارض، وتول عن الايمان وتنكب لطريقه، وذلك موجب للعنة والابعاد.

قال الله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد: ٢٢ — ٢٣) فجفوة الرحم والتنكر لها من امارات مسخ الفطرة وطمس البصيرة.

وصلة الرحم شعار الايمان بالله واليوم الآخر. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت).

(١) الحافظ المنذرى: الترغيب والترهيب ج ٣، ص ٢٢٥.

وصلة الرحم تزيد في العمر، وتوسع في الرزق. روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من أحب أن ييسط له في رزقه وينسأله في أثره (يزداد عمره) فليصل رحمه).

وصلة الرحم تعمّر الديار وتثمر الاموال. روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . قال رسول الله ﷺ : (ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الاموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم ، قيل وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم الأرحام .

وصلة الرحم تغفر الذنب وتكفر الخطايا : روى ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (أتى النبي ﷺ رجل فقال : انى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبته؟ فقال : هل لك أم؟ قال : لا قال : فهل لك من خالة؟ قال نعم : قال : فبرها).

وصلة الرحم تدخل صاحبها الجنة روى الطبراني عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته . قالوا : وما هى يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، قال : تعطى من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة).

٣ — حق الجار :

الجار هو كل مجاور لك عن اليمين والشمال ، والفوق والتحت ، الى أربعين دارا. روى الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : يا رسول الله إني نزلت في محلة بنى

فلان ، وإن أشدهم إلى أذى أقربهم إلى جوارا . فبعث رسول ﷺ أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم يأتون المسجد ، فيقومون على بابهِ ، فيصيحون : إلا أن أربعين دارا جار ، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه (شروره) .

وحقوق الجار — فى الاسلام — هى ألا يلحق الرجل بجاره أذى ، وأن يحميه ممن يريده بسوء ، وأن يعامله بإحسان ، وأن يقابل جفاهه بالحلم والصفح .

روى الطبرانى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال (من أغلق بابهُ دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (شروره) أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعتته ، وإذا استقرضك أقرضته ، وإذا افتقر عدت عليه ، وإذا مرض عدته ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإذا أصابته مصيبة عزيتة وإذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذ به بقتار ريح قدرك إلا أن تغفر له منها ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده) .

وقد عد الرسول الكريم إكرام الجار فى خصال الايمان فقال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) (الشيخان) .

٤ — حق المعلم :

المعلم هو الأب الروحى للمتعلم ، وهو الذى يقوم بتغذية النفس بالعلم ، وتهذيب الاخلاق وتقويمها ، فتبجيله واجب لا بد منه حتى ينشأ الطفل على الادب الاجتماعى الرفيع تجاه من له عليه حق التعليم

والتوجيه والتربية . ولا سيما اذا كان المعلم يتصف بالصلاح ، ويتسم بالتقوى ، ويتميز بمكارم الاخلاق .

روى أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : (ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) .

وروى الطبراني فى الاوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (قال رسول الله ﷺ : تعلموا العلم . وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمون منه) .

ومن الواجبات التى يجب أن يعمل بها كل طالب ما يلى :

١ — أن يتواضع لمعلمه ، وأن ينظر إليه بعين الاجلال ، ويعتقد فيه درجة الكمال ، فإن ذلك أقرب الى الاستفادة منه ، والنفع به .

٢ — أن يعرف الطالب لمعلمه حقه ، ويعمل على ارضائه بكل وسيلة من الوسائل .

٣ — ألا يضايق معلمه بكثرة الاسئلة ، ولا يعتنه فى الجواب ، ولا يمشى أمامه ، ولا يجلس مكانه .

٤ — أن يبدأ الطالب معلمه بالسلام ، ويقلل بين يديه الكلام ، ولا يقول له : قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يسأل جليسه فى مجلسه .

وللمعلم منزلة سامية مقدسة ، وعليه واجبات تلائم مكانته . وقد لخص أبو شامة الشافعى فى كتابه (مجموعة الرسائل) آداب معلم الصبيان فيما يلى :

(يبدأ بإصلاح نفسه ، فإن أعينهم إليه ناظرة ، وأذانهم إليه مصغية ، فما استحسنة فهو عندهم الحسن ، وما استقبحه فهو عندهم

القيح ، ويلزم الصمت فى جلسته ، ويكون معظم تأديبه بالرغبة ، ولا
يكثّر الضرب والتعذيب ولا يمازح بين أيديهم أحداً ، ويقبح عندهم
الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب والنميمة) .

٥ — حق الصديق :

من الامور الهامة التى يجب أن يلحظها المربون اختيار الصديق
المؤمن والجليس الصالح لما له من تأثير كبير فى استقامة الولد ،
وصلاح أمره ، وتقويم أخلاقه .

روى البخارى ومسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : (مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء كمثل
حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك)
أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق
ثيابك ، أو تجد منه ريحاً متنتة) .

وروى الترمذى وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام : (المرء على
دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل) .

من هذا وجب على المربى أن يختار للولد — ولا سيما بعد أن
يبلغ سن التمييز — أن يختار له الزمرة الصالحة من سنه ، يختلط بهم ،
ويلهو معهم ، ويدرس وإياهم ، ويتفقدهم بالزيارة ، ويعودهم اذا
مرضوا — ويقدم لهم الهدية اذا نجحوا ، ويذكرهم اذا نسوا ، ويعينهم
اذا احتاجوا ، وهذا ينمى فى الولد النزعة الاجتماعية التى فطر عليها ،
ويجعل منه فى المستقبل رجلاً متوازناً سوياً يؤدى حق المجتمع على
الوجه الصحيح الذى يرضى الله تعالى .

٦- حق الكبير :

الكبير هو من كان أكبر منك سناً ، وأكثر منك علماً ، وأرفع تقوى وديناً ، وأسمى جاهاً ومنزلة .

وهؤلاء ان كانوا مخلصين لدينهم ، معتزين بشريعة ربهم ، فيجب على الناس أن يعرفوا لهم فضلهم ، ويؤدوا لهم حقهم ، ويقوموا بواجب احترامهم امتثالاً لأمر النبي ﷺ الذي عرف المجتمع فضلهم ، وأوجب على الناس حقهم .

التزام الآداب الاجتماعية العامة: أدب الطعام :

أمر الإسلام باتباع الأدب والسلوك الحسن عند تناول الطعام .
واني أشير في هذا الصدد إلى أحاديث الرسول الكريم التي فصلت تقاليد الحياة الإسلامية كما كان يحياها النبي عليه الصلاة والسلام ومنها تتضح التعاليم الآتية :

تغسل اليدين والضم قبل الأكل وبعده . وإذا ما دعي شخص إلى طعام فعليه ألا يرفضه وعلى المرء إذا أكل في جماعة أن يرفع يده . وعلى المضيف أن يصحب ضيفه إلى باب المنزل ويودعه . والأكل مع الجماعة خير من أكل المنفرد لأنه يعود على الحياة الاجتماعية ويجب ألا يميز في الطعام بين ما يقدم للسيد وغيره . وهذا يشير إلى المساواة الإنسانية ورعاية جانب الآخرين يشملان جميع المجالات

حتى مجال الطعام والشراب وذلك شاهد على أن الإسلام يلقي بضوئه إلى جميع زوايا حياتنا المادية ويرفعنا عن مستوى نزعاتنا الأنانية الرخيصة .

أدب الاستئذان :

من الآداب الاجتماعية الاستئذان . وللاستئذان آداب فعلى المربي أن يرسخها في الطفل ، ويعلمها إياه أمثالاً لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، وَأِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٨-٥٩) .

يأمر الله تعالى الآباء في هذا النص القرآني أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ إلى أن يستأذنوا على أهلهم قبل صلاة الفجر، وبعد صلاة العشاء، وحينما يأوى الأزواج إلى مخادعهم عند الظهر، ويتخففون من ثيابهم . وقد شرع الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة لما يخشى أن يكون الرجل أو المرأة في حالة لا يحب أن يطلع عليها أحد من أولاده الصغار .

أما إذا بلغ الأطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها . يقول الله تعالى :

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلكم﴾ . (النور: ٥٩) .

وقد حفظ الله تعالى على البيوت حرمتها فقال عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ (النور: ٢٧-٢٨) .

وحدد طريقة الاستئذان ، فقال الرسول الكريم : «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» .

فلا ينبغي للزائر أن يدق الباب أو الجرس أكثر من ثلاث مرات ، كما حرم الرسول ﷺ النظر إلى البيوت من الخارج حتى لا يطلع على حرمتها وأسرارها فقال عليه الصلاة والسلام : «من نظر إلى بيت أحدكم من هوة فيه فأخذت حصاة فحذفته ففقت عينه فلا جناح عليك» .

تربية الجسم :

جسم كل إنسان هو آتته التي يستعملها في الحركة والعمل والسعي والضرب في الأرض والسياحة والجهاد في كل نواحي الحياة . وإذا كان الجسم عيلاً حد من الحركة والعمل ، ولذلك حرص الإسلام حرصاً شديداً على أن ينمو الطفل نمواً سليماً . يقول الله تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ (البقرة: ٢٣٣) .

يقول الدكتور الكسيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» إنه يهيب بالأمهات أن يؤدبن ما خلقن له فإن لبن الأم حق طبيعي للطفل .

وقد ثبت في الإحصاء الطبي أن عدد الوفيات في الأطفال الذين يرضعون بطرق صناعية عشرة أضعاف عدد الوفيات في الذين يرضعون رضاعة طبيعية . ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل علمية دقيقة ، بل يكفي أن نقرر أن ميزة اللبن الطبيعي على اللبن الصناعي لا يمكن أن تعوض بحال .

ويقول الدكتور «شرملر» الأخصائي الأمريكي في أمراض النساء والولادة أن هناك نتيجة أخرى للرضاعة . فكثير من الأمهات قد أعلن أن الرضاعة تشيع في نفوسهن احساسات سارة جزءاً هاماً من العلاقة بين الأم وطفلها الرضيع . ومن رأي الدكتور «نيلز نيوتن» من أن المعاهد والأطباء يجب أن تكف عن التوسع في أساليب الرضاعة الصناعية ، وإلا تثبط همم الأمهات الشابات في ارضاع أبنائهن حينئذ تصبح لدينا أمهات سعيدات وأطفال أصحاء .

عني الإسلام بالصحة البدنية ، والآيات التي تدعو إلى العناية بالجسم غذاء ولباساً واسترواحاً كثيرة واردة في القرآن المجيد ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش

ماظهر منها ومابطن والاثم بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿ (الأعراف : ٣١-٣٣) .

ومن أوليات الصحة النظافة . وقد ندب الله تعالى إليها فقال جل شأنه : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ (التوبة : ١٠٨) .

وفرض الإسلام على الرجال والنساء الاستحمام من الجنابة . وخص النساء بوجوب الاستحمام من الطمث أيضاً . قال تعالى : ﴿يسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (البقرة : ٢٢٢) . وشرط لصحة الصلاة الوضوء . قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنبا فاطهروا . وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ (المائدة : ٦) .

والوضوء من أجمع وسائل النظافة ، وأعودها على صحة الأبدان بالفوائد الجليلة . فإن الأتربة التي تتصاعد في الجو تحتوي على كثير من جراثيم الأمراض ، فتثبت في حوافي الجفنين ، فتصيب العينين بالأمراض المتنوعة ، وتسرب إلى الأنف والحلق فتكون سبباً في أمراضهما المختلفة وتندس إلى الأذن فتحدث فيها آفات السمع .

وتتخلل بقايا الأطعمة ثنايا الفم فتتوالد فيه جراثيم مرضية . فالوضوء يقي المسلمين والمسلمات من هذه العوارض كلها ، فإنه يبدأ بغسل اليدين ، والمضمضة وتطهير الأنف باستنشاق الماء ونثره ، وبغسل الوجه ، وفيه العينان ويلى ذلك غسل الذراعين إلى المرفقين . وهو أقصى ما يتحمل أن تصل إليه الأوساخ من الخارج ، ويجيء بعده مسح الرأس والأذنين من الداخل والخارج ، ومسح العنق ، وغسل الرجلين ، فيتم بذلك للإنسان القيام بعمل صحي أصبح العلم الحديث يندب إليه الناس وقاية من الأمراض الثقيلة .

وسن الإسلام سنة الاعتدال في كل شيء : الاعتدال في التغذية : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف : ٣١) .

الاعتدال في الانفاق ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ (الفرقان : ٦٧) .

وعلى هذا الأصل المكين بني الرخص في العبادات ، فقصر الصلوات في السفر ، وقرر أن يجزيء الناس من أعمال الصلاة ما يستطيعون عمله مراعاة لحالتهم فقبل أن يصلوا جلوساً ، فإن لم يستطيعوا فمضطجعين ، فإن لم يستطيعوا فبالإيماء على أي وضع كانوا ، فإن عجزوا عن قراءة آية من القرآن سقطت عنهم مراعاة للتيسير عليهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة : ١٨٥) ، ورخص للمرضى والمسافرين أن يفطروا في شهر رمضان ، على أن يقضوا في زمن صحتهم الأيام التي فطروا فيها .

وحرم أن يأكل المسلم ما قد يصاب من جراء تناوله بأمراض خطيرة ، كأكل الميتة والدم ولحم المواشي المصابة بجروح أو

المخنوقة. قال تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على نصب﴾ (المائدة : ٣) .

والميتة هنا هي الحيوان غير المذبوح الذي يموت من تلقاء نفسه بأي مرض من الأمراض ، أو بالشيخوخة أو بحادثة من الحوادث والوآد والتردي وغيرها وبعد الوفاة بفترة قصيرة تبدأ عملية التعفن وتتكاثر أول الأمر الجراثيم غير الهوائية التي توجد طبيعية في أمعاء الحيوان فتغزو الجسم عن طريق الأغشية والأوعية الدموية والليمفاوية ، ومن المواد التي تنتج من التعفن ماهوسام في مفعوله وذلك لما تنقله من أمراض قد تكون هي السبب في وفاة الحيوان أو لما تحدثه من حالات التسمم الغذائي الذي ينتج من مخلفات عملية التعفن ومن الأمراض الكثيرة الفتاكة التي لايتسع المجال لتفصيلها مثل مرض السل وهو كثير الانتشار وينتقل إلى الإنسان من جراء تناول اللحوم الميتة في أغلب الأحيان .

ومن المقرر طبيأ أن الدم هو أصلح الأوساط لنموشتى الجراثيم كما أنه أيضاً يحمل مخلفات الجسم التي تنتج عن الفعل الهدمي في الأنسجة المختلفة ويحتوي الدم إلى جانب ذلك على الكثير من المواد السامة التي يعمل الكبد على تخليص الجسم منها .

الخنزير هو العائل الوسيط لدودة «التينيا سوليم» وهي تنتقل إلى الإنسان بأكل لحم الخنزير وهذه الدودة من أشد الديدان فتكاً بالإنسان .

وينقل الخنزير أيضاً مرض «التريخيتا» ولا يمكن الكشف عنه إلا إذا فحصت جميع ألياف عضلات الخنزير قطعة بواسطة المجهر وهذا

طبعاً أمر غير ممكن . كما ينقل الخنزير عن طريق تناول لحمه مرض البارافيتويد» وغير ذلك من الأمراض الكثيرة الفتاكة .

وحرم القرآن شرب الخمر . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ (المائدة : ٩٠) . كشف العلم الحديث النقاب عن الكثير من الأضرار التي لحقت وما زالت تلحق بالبشرية ، من جراء تناول الخمر ، وكان تحريم الخمر في القرآن ليس فقط معجزة في الطب بل أيضاً معجزة في علم الاجتماع ومعجزة في علم النفس .

لقد أثبت الطب أن خلايا الكبد تتحول إلى ألياف ميتة لافائدة للجسم منها فتؤدي إلى استسقاء في البطن يورد المريض في النهاية موارد الهلاك والفناء . كما يؤدي إدمان الخمر إلى تصلب الشرايين وما يتبع ذلك من أمراض القلب والكلى والنزيف المخي . كما يؤثر على الجهاز العصبي تأثيراً بالغاً إذ يزول حكم المخ على الأشياء زوالاً تدريجياً فينتقل الشخص من المرتبة الإنسانية إلى حضيض البهيمية ، وإذا استمر الإدمان ضعفت المدارك الحسية والعقلية إلى أن يصل دور الجنون أو الشلل .

ويكفي أن العلم قد كشف النقاب عن قتل الخمر للعواطف الإنسانية السامية كالحنان والعطف والأبوة والواجب .

وإذا كان الإسلام قد حرم التغذية بالدم ، والميتة ، ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله ، والخمر ، فقد استثنى من ذلك من يدفعه الاضطراب إلى تناول شيء منه محافظة على حياته فقال تعالى : ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة : ١٧٣) .

ولما كانت الرياضة البدنية ضرورية لبناء الجسم وتهذيب النفس
والسمو بالخلق وتكوين الشخصية، وعاملاً جوهرياً في حياة الأمم
 وإقامة صرح مجدها ورفيها فقد حض الإسلام عليها ودعا إليها .
والم تأمل في كثير من التعاليم الإسلامية يجد أنها قائمة على تقوية
الروح والجسد .

قال ﷺ «ان لبدنك عليك حقاً» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ «المؤمن
القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» (رواه مسلم) .

وقال تعالى في وصف المؤمنين ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع
أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار﴾ (الفتح : ٢٩) .

ودعا القرآن الكريم إلى القوة وحجب إليها أن القوة من عطاء الله
تعالى ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً
ويزدكم قوة إلى قوتكم ، ولا تتولوا مجرمين﴾ (هود : ٥٢) .

وأنها من الميزات التي يتميز بها الإنسان : ﴿إن خير من استأجرت
القوي الأمين﴾ (القصص : ٢٦) .

كان الرسول الكريم يهتم بالرياضة البدنية ويدعو إليها . يقول
الرسول : «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمية وألا
يرزقه إلا طيباً» لأن هذه هي مقومات الشخص السليم الذي يصلح أن
يكون لبنة طيبة في كيان أمة عظيمة لتنهض بآداء الواجب المنوط بها
في هذه الحياة .

وقد حض الرسول ﷺ على الفروسية والرمي فقال :
- (أحب الله إلى الله تعالى إجراء الخيل والرمي^(١)) -

وفسر الرسول المأمور بأعدادها في قوله تعالى : ﴿واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة﴾ (الأنفال : ٦٠) بأنها الرمي فقال عليه الصلاة
والسلام «ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي» .

كما أوصى الرسول الكريم بتعلم السباحة فهي من طرق انقاذ
الغرقى ، واستخراج ما في قاع البحر من المعادن التي تعظم وجوه
الانتفاع بها ، ومران على الجهاد البحري ، وهي في الوقت نفسه
ترويض لأعضاء الجسم كله ، وهي باطلاقتها تشكل حركة الجسم في
الماء والتجديف وسائر ما عرف من أنواعها في هذه الأيام .

ومن المعلوم أن المشي من أهم أنواع الرياضة ، ولذلك ورد أن
الرسول الكريم لما دخل الكعبة بعد صلح الحديبية وقف المشركون
ينظرون إليه وإلى أصحابه ويقولون في شماتة هؤلاء قوم أنهكتهم حمى
يثرب فلن يستطيعوا الطواف بالكعبة . وبلغت الكلمة إلى مسامع الرسول
فقال لأصحابه : رحم الله امرأ أرى القوم من نفسه اليوم قوة . ثم هرول في
مشيه دليلاً على القوة ومظهراً من مظاهر سلامة الجسم وورد أن النبي ﷺ
كان يرى أصحابه يتسابقون على الاقدام «الجري» ويقرهم عليه .

وقد وردت أيضاً المبارزة «اللعب بالحراب» . «الشيش» رواه
البخاري عن أبي هريرة قال : بينما الحبشة يلعبون بحرابهم عند النبي
ﷺ في المسجد دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنكر عليهم
لعبهم بالحراب في المسجد فقال النبي : دعهم ياعمر .

(١) مجموعة فتاوي ابن تيمية ٢٨-٦ .

قال الرسول ذلك لأن المسجد موضوع لأمن جماعة المسلمين
فما كان من الأعمال يجمع بين منفعة الدين وأهله فهو جائز فيه مباح
بين جدرانته .

وقد تضافرت الروايات على قرار هذه الأنواع من الرياضة البدنية ،
الرمي والسباحة والمسابقة على الاقدام «الجري» والمسابقة على
الخيول والابل والمصارعة واللعب بالحراش «الشيش» .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بالرسول الكريم فكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحب ركوب الخيل ويستطيع أن يقفز
على الحصان دون أن يمسك بشيء . وكان الامام علي بن أبي طالب
لا يدركه مدرك في العدو . وكان طلحة والزبير من أشد المصارعين في
المسلمين وغيرهم كثير . وحكاية عمر بن الخطاب مع الشاب الناسك
الذي مر به وقد أحنى قامته وطأ رأسه علامة الخشوع والتبتل فحمل
عليه عمر وضربه وقال له : ارفع رأسك وأصلح قامتك لا تمت علينا
ديننا أماتك الله . دليل قوي على أن الرياضة البدنية من شعائر الإسلام .

الخاتمة

في الصفحات السابقة تحدثنا عن منهج الإسلام في العناية بالطفل ورعايته، وهو منهج واضح بين . . ومادته خصبة موفورة، وستبقى هذه المادة بوفرته وخصبها، وجلالها مادام في الدنيا قرآن يتلى، وسنة تروى .

ولقد جاءت هذه المادة لتصوغ الطفل قلباً وروحاً، وخلقاً وسلوكاً، صياغة تجعله يحلق في الأفق الأعلى، وتحيله إلى صورة حية لآيات القرآن وخلق الرسول، صياغة تجعله طاقة كونية فعالة مهيمنة وموجهة لكل شيء . . طاقة عزيزة أبية لا تذلل ولا تضعف، ولا تهز ولا تعجن، تواجه الأحداث في ثقة، وتجاهد في قوة، وترفع رأسها في عزة ولا تستسلم لرهبة أو رغبة .

يحدثنا «هوكنج» أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية في كتابه «روح السيامسة العالمية» عن خصوبة المنهج التربوي في الإسلام واتساعه لكل ماتسع له الحياة العامة . فيقول (إني أشعر بأنني على حق حين أقرب بأن في الشريعة الإسلامية كل المباديء اللازمة للنهوض بالحياة) .

وقد طبق هذا المنهج فأنشأ أجيالاً صالحة، مؤمنة بربها وبنفسها، وبقيمها في الحياة وكانت هذه الأجيال نماذج تحتذى في مثالياتها وثقافتها، ومركزها الأدبي في الحياة . لقد تخرج في مدرسة

النبوة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، كانوا قمماً شواهاق في النبل والفضل . وكانوا أمل الدنيا في العدل والانصاف . وكانوا مثلاً يحتذى في السلم والحرب ، وكانوا أعلاماً خفاقة في الثقافة والعلم .

كانت أوربا تتخبط في دياجير الظلام ، وتسبح في بحار الجهل ، وكانت امتنا الإسلامية قد وصلت بمناهج الوحي الالهي ، إلى ذروة المجد ، وقمة الحضارة ، وتخرج في جامعاتها الأطباء والرياضيون والفلكيون والفلاسفة وعلماء الجبر والمنطق . يقول الكاتب الانجليزي «ميور» في كتابه «حياة محمد» (امتاز محمد بوضوح كلامه . ويسر دينه وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ العقول ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد ﷺ) .

إن الإسلام من بين الأديان كلها هو الدين الذي يسند الحياة من كل جوانبها ويقيم عماداً قوياً يرتفع بها . وليس هناك شهادة أكثر صراحة في الحديث عن القيم الأخلاقية الإسلامية من تلك التي أعلنها مؤلفو دائرة معارف «تسامير» التي جاء فيها : (إن أهم التعاليم الإسلامية التي تكشف عن عظمة العقل الذي جاء بها هو النظام الأخلاقي القرآني . ولا تحصر سورة أو اثنتان أو ثلاث كل هذه التعاليم ولكنها تنتشر في القرآن كله كالخيوط الذهبية الذي يتخلل نسيج الثوب .

والقرآن يعتبر الظلم والكذب والحقد والنميمة والسخرية بالغير والبخل والتبذير والفجور والشك في الناس من الرذائل التي لا يرضاها الله .

أما الاحسان والكرم والحياء والاحتمال والصبر والاعتدال والاخلاص والاستقامة وحب الحق والسلام والإيمان بالله واحد

والخضوع له . كل هذه الصفات هي أعمدة الحياة النقية والعلامة التي يتميز بها المؤمن الحق) .

هذه شهادة محايدة تحمل على الاعتراف بما في القرآن من نظم أخلاقية مثالية يمكن أن توفر على العقل والعلم المجهود الكبير الذي يبذلانه في ابتكار قوانين أخلاقية لن تبلغ في وضوحها ومثالياتها مبلغ القوانين المنزلة .

وفي هذا العصر بلغ الرقي المادي شأناً عظيماً ، ولكنه لم يجلب للإنسان إلا الشقاء فماتزال الشعوب مغلوبة على أمرها ، تفتربها الدول القوية ، وبدلاً من أن يجد العالم نفسه في أوج كماله تبعاً لخطواته المادية العظيمة وجد نفسه مايزال يتخبط في الظلام .

ومن ثم رأينا عدداً كبيراً جداً من الأطفال . لاسيما في البلدان النامية يعانون نقص التغذية ، ولاسيبيل لهم إلى الحصول على الخدمات الصحية المناسبة ، ويفتقرون إلى الاعداد التعليمي الأساسي لمستقبلهم ، ويحرمون من المتع الأساسية في الحياة .

اهتمت الأمم المتحدة بهذه المشكلة ودرست أوضاع الطفل قانوناً واجتماعاً وثقافة ورسم خطط واصدار قرارات وقوانين لتصبح هذه الأوضاع كلها محققة أمل الأمم في طفولة سعيدة هي رسول السلام العالمي في المستقبل . وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩ على اعلان حقوق الطفل .

وفي سنة ١٩٧٩ أعلنت الأمم المتحدة عن قلقها العميق من أن مايقرب من نصف أطفال العالم يعانون نقصاً في الغذاء وفقراً أو انعداماً في الرعاية الصحية (وقاية وعلاجاً) وحرماناً من التعليم الأساسي (وهو

حق كل مواطن) وناشدت جميع البلدان على إعادة النظر في برامجها للنهوض برفاهية الطفل وعلى تهيئة الدعم اللازم لبرامج العمل الوطنية والمحلية وفقاً لظروف كل بلد واحتياجاته وأولوياته).

وفي سنة ١٩٨٧ وجهت منظمة الصحة العالمية رسالة إلى العالم كله في العام العالمي لإعلان حقوق الطفل قالت فيها: (إن الاستثمار في صحة الطفل والأم يعد مدخلاً مباشراً لتحسين التنمية الاجتماعية والانتاجية وتوجيه الحياة الأفضل. وتعد العناية بالطفل في عصر الذروة والكمبيوتر من أهم أولويات العمل الوطني فالفرد هو الأساس في عملية التنمية وغايتها النهائية، ومن هنا فإن تحقيق هذا الهدف يستدعي توفير أحسن سبل الرعاية لأطفالنا وأفضل وسائل التوجيه وخاصة في مراحل العمر المبكرة والتي تشكل من خلالها مجموعة القيم الاجتماعية الدينية والفكرية والنفسية، ومن هنا فإن الرعاية الصحية للطفل يجب أن تبدأ فور ولادته على أن تسبقها رعاية مناسبة إبان فترة الحمل والولادة. ثم يعقب ذلك اهتمام كبير بالرضاعة الطبيعية لما لها من أهمية كبيرة في حياة الطفل حديث الولادة).

إن الهدف من الاعلان العالمي لحقوق الطفل هو ان يستطيع الطفل أن يحيا بكل معاني الحياة وأن يدفع في المستقبل القريب بعجلة التقدم في وطنه وفي العالم كله من أجل تحقيق مجتمع يسوده الحق والعدل وتزفرف عليه رايات المحبة والسلام.

فهل ياترى تحقق الهدف من هذا الإعلان؟ وهل سارت عليه حتى الدول الموقعة عليه ووضعت خطة لتنمية الدول المتخلفة أو النامية للحد من مناطق جذب الأقوياء للاستيلاء على الموارد الخام في مواقعها المختلفة لدى الدول المتخلفة فتزداد بذلك ضعفاً؟ وهل

أفاد هذا الاعلان الطفل حقاً؟

إن مجرد اهتمام العالم بالاحتفال بذكرى هذا الاعلان، وحرص الدول على الاشادة به، لهو الدليل القاطع على أن حقوق الطفل في خطر، وأن هذه الاحتفالات إنما هي محاولات لجعل هذا الاعلان حقيقة . . ولكن هيهات!!

فهل هذا الاعلان - كما يقول البعض - هو أول وثيقة تحمل اعلان حقوق الطفل حقاً؟ أياً كانت نتائجه؟

إذا رجعنا قبل تاريخ هذا الاعلان بأكثر من ألف واربعمئة عام نجد وثيقة حقوق الطفل . . الوثيقة الأولى والأخيرة . . التي قررت الحقوق الكاملة للطفل في كل ناحية من نواحيه وضمنتها له، فهي حقاً الوثيقة الأولى إذ لم يسبق أن عرف الطفل مثلها، لأنها تضمنت كافة حقوقه .

والأخيرة لأنها نزلت في كتاب الأنبياء وخاتم المرسلين محمد ﷺ فقد نزل القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً متضمناً حقوق الطفل كما لم يستطع أن يصل إلى تخيلها أي مصلح أوداعية . والفارق بينه وبين أي إعلان آخر عن حقوق الطفل هو فارق بين المصدرين: السماء والأرض، الخالق والعبد، إلى أنها قامت وتحققت وغيرها مداد على ورق . إن الواجب علينا أن نقوم بتعريف الناس بحقوق الطفل في الإسلام . وقد كتب الله علينا الجهاد في سبيل الإسلام . وكان الجهاد أساساً، وما يزال، في نشر الدعوة إلى الإسلام حتى تبلغ كل الناس ليؤمنوا أو ليتصالحوا على أي أساس فيما عدا الشرك بالله .

إن هذا التعريف يحتاج إلى جهاد كجهاد الأجداد يوم خرجوا من
جزيرتهم العربية ومن أحضان أمهات مؤمنات ينشرون الدعوة
وأرواحهم على كفوفهم لا يبتغون إلا مرضاة الله جل شأنه . وليخرجوا
الناس - بإذن ربهم - من الظلمات إلى النور.

المحتـوى

الموضوع	صفحة
- مقدمة	٧
- بناء الأسرة	١١
● الأسرة أصل	١٣
● ترغيب ودعوة	١٦
● تكوين الأسرة	١٩
● الأبناء	٢١
- الأحكام العامة للمولود	٢٣
● تسمية المولود	٢٧
● العقيقة	٣٠
● الختان والخفض	٣٢
● الرضاع	٣٩
● الحضانه	٣٩
● النفقة	٤٩
● التسوية بين الأبناء في المعاملة	٥٦
- تربية الطفل	٦١
● التربية الدينية	٦٦
● التربية الخلقية	٦٩
	١١٩

- التربية العقلية ... ٧٦ ...
- العقوبة في نظر علماء الإسلام ... ٨٧ ...
- التربية الاجتماعية ... ٩١ ...
- تربية الجسم ... ١٠٣ ...
- الخاتمة ... ١١٣ ...